

التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم

مع دراسة تطبيقية في حكم نشوز الرجل وأثره على المرأة نفسياً واجتماعياً وكيفية علاجه

د . رجاء بنت صالح بن محمد البحر^(*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين منارة الهدى للعالمين ، سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين .

خلق الله البشر من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً وجمع نريتهما الرجل والمرأة . بميثاق غليظ وعقد شديد عقد الزوجية ؛ وجعل لكل منهما حقوق وعليهما واجبات ، حتى تستقيم الحياة ، ويهنأ العيش ، ويتكون المجتمع وينمو . وقد كتب الله على الإنسان حفظه من الكبد ، والمشقة في الحياة ؛ ومنها وقوع الخلاف بين الزوجين سواء كان سببه أحدهما ، أو كلاهما ويسمى في الشرع الحكيم بالنشوز ؛ وهو موضوع بحثنا ولكن سنتناول أحد أنواعه؛ وهو نشوز الزوج على زوجته ، وأثره عليها نفسياً واجتماعياً ، وسيكون تفسيراً للآيات الكريمة تفسيراً أدبياً اجتماعياً ، وهو أحد ألوان التفسير في العصر الحديث . والهدف من ذلك والسبب في إتخاذ هذا اللون في التفسير :

١- معالجة القضايا الاجتماعية الأسرية ؛ وفق المنهج الشرعي والعلمي ، أي تأصيل الدراسات العلمية والنفسية الاجتماعية تأصيلاً شرعياً ، والكشف عن هداية الآيات

(*) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن .. كلية الآداب للبنات .. جامعة الدمام .

المراد دراستها ، و أوجه الإعجاز التشريعي والبياني والنفسي فيها، فخالق النفس هو أعلم بعلاجها ، وأسرار سعادتها ومواطن شقاءها .

٢- السمو بالعلاقة الإنسانية بين الزوجين ، في حالة الزواج ، وبعد الفراق ، والمحافظة على حياة الأبناء ثمرة الزوجية من الألم ، والضياع الناتج من شقاق الزوجين ، من خلال معالجة النشوز والإعراض ، وفي حالة وضع شروط الصلح، وأهمية تحقق الصلاحية في الشروط . ومعالجة الميل العاطفي في حالة التعدد في الزوجات ، ورعاية الزوجين بعد الفرقة والإنفصال ، وآداب المحافظة على حسن العشرة ، ومعالجة أثر الإنفصال على الزوج والزوجة والأبناء إن وجدوا.

٣- رغبة الباحثة في تقديم دراسة واقعية تطبيقية للتفسير الأدبي الاجتماعي ؛ الذي كشف عنه ومارسه في علاج المشاكل الإنسانية المؤسس الأول الشيخ محمد عبده- رحمه الله - ، ثم جاء المؤسس المنهجي التطبيقي لهذا التفسير ؛ المفسر الرائد سيد قطب - رحمه الله - وقد سعت الباحثة في تفسيرها تجنب ما أخذ على رواد هذا التفسير من مأخذ ، للوصول إلى الهدف الذي من أجله ظهر هذا اللون من التفسير ؛ وهو توجيه الناس إلى هدايات الكتاب الكريم ، واحتواءه على الدواء الشافي للمشاكل الإنسانية ، وفهم أسرار الكتاب العزيز في أسلوبه ، وألفاظه ومعانيه ، ومناسبة الكلمة أو الوصف أو الجملة أو الحرف في الموضع الذي ذكر فيه ، دون غيره من الجمل والأوصاف والألفاظ والحروف.

وكان منهجي في البحث على النحو التالي:-

١- تعريف التفسير الأدبي الاجتماعي ، وبداية ظهوره ، ومدارسه و منهجهم في التفسير ، ومصادرهم ، ومميزات هذا التفسير وما عليه من مأخذ.

٢- التعريف بسيد قطب - رحمه الله - ، ومنهجه في التفسير ، ومصادره ، وما أمتاز به ، وما قيل في تفسيره ، وتخصيصه دون غيره بتقديم دراسة تطبيقية عن التفسير الأدبي الاجتماعي من تفسيره الظلال لآيات النشوز (١٢٨ - ١٣٠) من سورة النساء ؛ وذلك لكونه المؤسس المنهجي لهذا اللون من التفسير .

٣-تقديم دراسة تطبيقية للتفسير الأدبي الاجتماعي على آيات النشوز الخاصة بالرجل وهي الآيات (١٢٨ - ١٣٠) من سورة النساء ، وهي تمثل جهد الباحثة؛ وذلك ليتمكن القارئ الكريم من فهم حقيقة هذا اللون ؛ فذكرنا نموذجين للتفسير الأدبي الاجتماعي الأول للرائد سيد قطب - رحمه الله - والآخر للباحثة لنفس الآيات آيات نشوز الرجل ليدرك القارئ الذوق الأدبي الخاص بسيد قطب - رحمه الله - وأثر هذا الذوق على الباحثة هذا من جانب ، ومن جانب آخر أرادت الباحثة تقديم دراسة تطبيقية للتفسير الأدبي الاجتماعي مجرداً من المآخذ التي أخذت على مؤسسي هذا اللون من التفسير ؛ وذلك لتقديم صورة واضحة وصحيحة - إن شاء الله - وواقعية عن التفسير الأدبي الاجتماعي .

٤-التوفيق بين المعنى العلمي النفسي الاجتماعي والمعنى الشرعي للآيات الكريمة؛ وذلك بالاعتماد على التفسير بالمأثور ، وتوثيق الروايات الواردة في سبب النزول ، وأثرها على تفسير الآية ، وذكر رأي أهل التحقيق في سند ومتن الرواية ، حتى لا يطغى الجانب العلمي على الجانب الشرعي . والوقوف في استنباط المعاني على الدلالة اللغوية للمفردة القرآنية ، وبيان معناها في اللغة أولاً ، ثم ذكر التأملات النفسية المستوحاة من معانيها اللغوية ، وتوثيق ذلك من مصادره في المعاجم اللغوية أو كتب الغريب في القرآن والحديث أو كتب الأشباه والنظائر .

٥-عدم الإسهاب في الوقفات والتأملات النفسية في الآية ؛ حتى لا يغيب الحكم الشرعي المراد من الآيات من ذهن القارئ ، واستخدام الأسلوب السهل الواضح ، والعبارة الموجزة ما أمكن ذلك ، وتوثيق بعض هذه التأملات من مصادرها ، وبعضها اجتهد من الباحثة وفق ما لمست من المعاني اللغوية التي ذكرتها معاجم اللغة ، أو استنباط من رأي ذكره الفقهاء ، أو من شرح لمعاني الأحاديث، أو إحياء من توجيهات المعالجين والمرشدين المختصين بالإرشاد الزواجي والأسري فما أصابت فيه فهو من الله وما أخطأت أو قصرت فيه فهو من جهد الإنسان الضعيف .

وكانت خطة البحث على النحو التالي:-

١-مقدمة : تتضمن عرض للموضوع ، واهميته، والهدف من الدراسة وأسباب اختياره ، ومنهج البحث وخطةه .

٢-مبحثان :-

المبحث الأول: التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول:- تعريف التفسير الأدبي الاجتماعي.

المطلب الثاني:- بداية ظهور التفسير الأدبي الاجتماعي ومدارسه - مميزاتها - المآخذ عليها.

المطلب الثالث:- نموذج تطبيقي للتفسير الأدبي الاجتماعي مدرسة سيد قطب وتفسيره للآيات (١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠) من سورة النساء.

المبحث الثاني: التفسير الأدبي الاجتماعي للآيات (١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠) من سورة النساء حكم نشوز الرجل وأثره على المرأة نفسياً واجتماعياً وكيفية علاجه.

١. الخاتمة: تتضمن ملخص لمحتوى البحث وأهم النتائج والتوصيات.

٢. الفهارس: فهرس المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين

المبحث الأول

التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم

هذا اللون من التفسير هو إضافة جديدة لألوان التفسير ؛ كالتفسير اللغوي البياني، والعلمي والفلسفي والمذهبي والفقهى والصوفي وغيرها من ألوان التفسير، التي أصاب فيها البعض ، وأخطأ في تناولها البعض الآخر^١ ، ولسنا بصدد شرح هذه الألوان ، وبيان ميزاتها أو عيوبها ، وإنما نريد تناول مفهوم التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم كلون حديث له مصادره ، ومنهجه ومدارسه ، ومؤلفات تمثله من حيث الواقع كسائر الألوان التي أشرنا إليها ، وفي هذا المبحث سنتناول تعريف هذا اللون من التفسير ، وبداية ظهوره ، ومن نهج هذا المنهج في تفسيره لكتاب الله تعالى ، بإشارة مختصرة تقديراً للجهود ، وتذكيراً بأوائل المفسرين المؤسسين لمدارسه ، دون تفصيل مسهب لمؤلفاتهم ؛ لأن هذه الدراسة هي تطبيق لهذا اللون من التفسير وبيان أثره في حل المشكلات الإنسانية ومنها المشكلات الزوجية التي آثرنا منها مشكلة نشوز الزوج على زوجته وكيفية معالجتها ، وأثر هذا النشوز على المرأة من الناحية النفسية ، والاجتماعية ، والأحكام الشرعية المعالجة لهذه المشكلة ، وما تتضمنه من توجيهات ربانية تعالج هذا الصدد الأسري بما يحفظ على الزوجين إيمانهم ، وعلاقاتهم الإنسانية ؛ برقي الخلق وحكمة التشريع ، بالرضا بهذا العلاج مع النظرة التفاؤلية لمستقبل أفضل لكلا الزوجين وأبنائهم إن وجدوا .

وكل هذه المعاني ستتجلى عند الوقوف على دلالة الآيات (١٢٨ - ١٣٠) من سورة النساء سواء من خلال أقوال المفسرين ، والفقهاء وأهل اللغة ، والمختصين بالدراسات النفسية والاجتماعية ، في مجال الأسرة والمرأة ، واجتهادات الباحثة

(١) لمزيد من التفصيل في هذه الألوان ينظر: التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر أ.د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث عبدالقادر محمد صالح ، دراسات في مناهج المفسرين د/ أبو عمر نادي بن محمود الأزهرى ، مناهج المفسرين د/ أحمد بن محمد الشرقاوي ، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي د/مسعود مسام عبدالله آل جعفر .

الناجمة عن تأمل النص القرآني مع الالتزام بحدود الأحكام الشرعية التي دلت عليها الآيات .

وفي هذا المبحث ثلاث مطالب:-

المطلب الأول: تعريف التفسير الأدبي الاجتماعي .

المطلب الثاني: بداية ظهور التفسير الأدبي الاجتماعي ومدارسه مميزاتها والمآخذ عليها.

المطلب الثالث: نموذج تطبيقي للتفسير الأدبي الاجتماعي مدرسة سيد قطب وتفسيره للآيات (١٢٨-١٣٠) من سورة النساء . واخترنا آيات سورة النساء كنموذج تطبيقي لتفسير سيد قطب - رحمه الله - مع كونها موضع دراستنا ؛ حتى نكشف للقارئ مدى التنوع في تفسير الآيات بين المفسرين الذين ينتهجون منهج التفسير الأدبي الاجتماعي فسنلتقي مع المفسر الكبير سيد قطب - رحمه الله - في بعض المعاني ، ونزيد معاني أخرى ، وهذه الزيادة هي مستوحاة من تأمل النص القرآني وتدوقه ، إضافة إلى أثر الدراسات النفسية والاجتماعية في معالجة النشوز بما يتوافق مع هداية الآيات الكريمة.

المطلب الأول: تعريف التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم.

١- عرّفه د/ محمد حسين الذهبي في كتابه الموسوعي التفسير والمفسرون فقال: (هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ، ونظم العمران).^١

٢- عرّفه عبد القادر محمد صالح في كتابه التفسير والمفسرون في العصر الحديث فقال: (التفسير الأدبي يعمد إلى اكتشاف روعة البيان القرآني ، ودقته التعبيرية في كيفية معالجة قضايا النفس الإنسانية المتشعبة ، ويبين رقة اللفظ القرآني ورشاقته الفنية في التصوير ، والتشخيص . وكيف يجعل المعنوي حسياً ماثلاً أمام القارئ ، وهذا عُرِفَ عند علماء الأدب بالتصوير والتشخيص. ذلك التصوير يجعل الإنسان يتصور المعنوي قائماً أمام الحواس مرسوماً بأبعاده فيترك آثاره الهائلة على النفس البشرية)^٢

٣- عرّفه د/ فهد الرومي في كتابه إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فقال: (لا أقصد بالتذوق الأدبي إطلاق العنان لكل قارئ لأعمال ذهنه الذاتي لاستخراج معاني النص ، لأن هذا سيؤدي بنا - حتماً - وعلى أحسن الأحوال إلى أن نجد في تفسير الآية الواحدة ما يساوي عدد القراء بل أكثر منهم . ولكن أقصد به الموازنة بين الذات و الموضوع فالذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص ، وعلى جانب الجمال الاجتماعي فيه ، وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبية الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه

(١) ٤٠١/٢ هذه الموسوعة هي رسالة دكتوراه.

(٢) ص ٣٠١ .

ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح إذا فالتذوق الأدبي - عندي - يقوم

على الموازنة بين الذات والموضوع هو وسط بينهما^١

وبعد عرض هذه التعاريف يتبين لنا أن التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم هو تذوق حسي وجداني للمفسر ، مع التزامه بموضوع الآية ، وأحكامها ، وما فيها من سبب نزول ، وأثر المكي والمدني فيها ، وما نسخ من أحكامها إن وجد ، وخصوصية الفاظها إن كانت خاصة بأحد الناس ، أو بحكم خاص بالرسول -s- ، أو ما ورد فيها من تفسير مأثور كتفسير آية بآية أخرى لتفصيل ما أجمل ، أو تقيد ما أطلق ، أو تخصيص ما لفظه عام ، أو ما ورد فيها من بيان وتفسير من السنة النبوية ، أو من قول صحيح السند والمتن عن الصحابة - رضوان الله عليهم - . فمراعاة هذه الأمور يحفظ للنص الكريم قدسيته والمراد منه ، ويحمي المفسر من غلبه الأثر الحسي عليه فيخرج عن حدود التفسير الصحيح المراد به الكشف عن جمال وبديع الأسلوب القرآني .

المطلب الثاني: بداية ظهور التفسير الأدبي الاجتماعي ومدارسه ومصادرها ومناهجها في التفسير ، مميزاتها والمآخذ عليها.

ظهر هذا اللون من التفسير في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، نتاج التقدم الثقافي والعلمي والأدبي ، الحاصل في تلك الفترة ؛ وأول من انتهج هذا اللون في التفسير كان الشيخ محمد عبده - رحمه الله - ، ثم السيد محمد رشيد رضا ، والشيخ محمد مصطفى المراغي - وكان يغلب على هذه المدرسة المنهج العقلي - وسيد قطب - رحمه الله - ويعتبر المؤسس الحقيقي بالمعنى المنهجي لهذا التفسير ، وقد جاء من بعدهم مفسرين نهجوا نهجهم الأدبي الاجتماعي^٢ فزادوا ونقحوا مع المحافظة على أصالة مناهج المفسرين الأوائل الذين اعتمدوا على التفسير

(١) ٩٨٣/٣ (الكتاب رسالة دكتوراه) .

(٢) أمثال : د/ أمين الخولي ، د/ عائشة عبد الرحمن ، د/ محمد سعيد البوطي ، الشيخ محمد متولي

الشعراوي - رحمهم الله تعالى - وغيرهم كثير .

بالمأثور ، والتفسير بالرأي المحمود على الغالب وإن شطح البعض في بعض المسائل أو أخطأ فهذا لا يضعف من قيمة هذا اللون من التفسير أو يشكك في صحة تناوله .^١
١. مدارس^٢

كما أشرنا بداية أن المؤسس لهذا اللون من التفسير كان الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني (١٢٦٦هـ - ١٣٢٣هـ) مفتي الديار المصرية ، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد ، وقام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ؛ فاستعمل عقله الحر في كتاباته ، وبحوثه فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار خالف بها من سبقه ، فأغضب عليه الكثير من أهل العلم وفي نفس الحين جمعت حوله قلوب أعجبت به وبفكره . وكان منهجه في التفسير يخالف به جماعة المفسرين المتقدمين ؛ وهو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة ، وذلك لأنه كان يرى أن هذا هو المقصد الأعلى للقرآن ، وما وراء ذلك من المباحث فهو تابع له ، أو وسيلة لتحصيله . وكان يعتمد في دروسه وكتابته في التفسير على عقله الحر فكان يقرأ في المصحف ويلقي ما يفيض الله على قلبه ، وكان لا يرجع إلى كتاب من كتب التفسير قبل إلقاء دروسه حتى لا يتأثر بفهم غيره ، وكل ما كان منه أنه إذا عرض له وجه غريب من الإعراب ، أو كلمة غريبة في اللغة ، رجع إلى بعض كتب التفسير ليرى ما كتب في ذلك وكان حصيلة اجتهاده في علم التفسير تفسيره لجزء "عم" الذي ألفه

(١) أنظر: التفسير والمفسرون د/ محمد الذهبي ٤٠١/٢ ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث

٣٠١

(٢) سنعرض لهذه المدارس بإيجاز فالغرض التعريف بها وليس سير أغوار بداياتها وما قيل فيها وفي رجالها فهذا موضع الدراسات العلمية المتخصصة جداً كرسالة الدكتوراه لسعادة الدكتور فهد الرومي في رسالته (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) و د/ صلاح دحبور في رسالته: (في ظلال القرآن دراسة وتحقيق) و(رسالة الدكتوراه) لمحمد رمضان رضاني (آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية) وبعض المؤلفات ذات الطابع الشامل لمناهج المفسرين في العصر الحديث كاتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث د/ عفت محمد الشرقاوي

بمشورة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية ، ليكون مرجعاً لأساتذة مدارس الجمعية في تفهيم الطلاب معاني ما يحفظون من سور هذا الجزء ، وله تفسير مطول لسورة العصر كان قد ألقاه على هيئة محاضرات ودروس على علماء ووجهاء مدينة الجزائر ، بالإضافة إلى بعض الشروحات لبعض الآيات المتفرقة التي كان يلقبها على هيئة دروس في الأزهر الشريف وكان يدون هذه الدروس تلميذه السيد محمد رشيد رضا ثم قام بعد ذلك بنشر ما كتب في مجلته المنار^١.

(نموذج من تفسيره الاجتماعي)

عند تفسيره لسورة العصر أفاض في تفسير قوله {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} فقال: (والصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله ، والرضا بما يكره في سبيل الحق. وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق ، وما أتي الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه ، كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها، ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة ، ولنضرب لذلك مثلاً : نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين اليوم. إذا دققت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر.....الخ)^(٢).

وأكمل المسيرة تلاميذه ١. السيد محمد رشيد رضا بن محمد القلموني البغدادي الأصل الحسيني (١٢٨٢هـ - ١٣٥٤هـ) ذهب إلى مصر ، والتقى بالشيخ محمد عبده و أنشأ مجلة المنار وجعل موضوعها الأول الإصلاح الديني ونزع إلى مذهب السلف ونقل عنهم ، واهتدى بأرائهم كابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم الجوزية .

وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ؛ وذلك بعد أن أيس من المدارس الحكومية ؛ لكونها تخرج موظفين حكوميين ، لا دعاة وعلماء ومعلمين وأرادها أن تكون جامعة

(١) أنظر: الأعلام للزركلي ٢٥٢/٦ ، معجم المؤلفين ٤٧٤/٣ ، التفسير والمفسرون ٤٠٥/٢ ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ٣٠٢ وللدكتور فهد الرومي دراسة مستفيضة حول هذه المدرسة العقلية الاجتماعية ورجالها أنظر كتابه منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير .

(٢) التفسير والمفسرون ٤١٣/٢ . لم تفصل في ذكر النماذج حتى لا نطيل في البحث ونخرج عما التزمنا به في منهج البحث.

بين العلوم الإسلامية والعلوم المدنية الأخرى ، وكان تأسيسها في مصر معتمداً على تبرعات الأهالي وذوي الثراء ، واستقبلت المدرسة طلاباً من مختلف أرجاء العالم وتخرج منها كثير من الطلبة الذين علا شأنهم فيما بعد وصاروا علماء دعاة.^١

وإذا نحن تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الشيخ محمد عبده إنتاجاً في التفسير ، فقد كتب تفسيره تفسير القرآن الحكيم والمشهور بتفسير المنار ، ابتداءً بأول القرآن وانتهى عند الآية (١٠١) من سورة يوسف ٨ ، ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله ، وهذا التفسير مطبوع في اثني عشر مجلداً وصل فيه إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [سورة يوسف ٥٢] وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف ٨ ، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - . وقد فسر الشيخ من السور القصار: سورة الكوثر ، والكافرون والإخلاص والمعوذتين وفي تفسيره تتجلى روح الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ممزوجة بروح تلميذه ، فالمصادر هي المصادر ، والهدف هو الهدف ، والمنهج هو المنهج والأفكار هي الأفكار ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر.

أما رأؤه في التفسير فهي آراء شيخه ، تقوم على حرية واسعة في الرأي واعتداد عظيم بالفهم ، وثقة قوية بما عنده من العلم ، وعدم تقيد ببعض المسلمات عند العلماء ، ولهذا نجد له أفكاراً غريبة في تفسير القرآن استقل ببعض منها ، ، وقاد شيخه في بعضها الآخر.^٢

ومع ما في هذا التفسير من الميزات والفوائد ؛ إلا أنه حاد في بعض المسائل العقديّة عن الصواب ، فعلى سبيل المثال ؛ إنكاره حقيقة السحر وأنه مجرد خداع وتمويه ، وبهذا القول يوافق قول أستاذه محمد عبده وقول المعتزلة قبله.

(١) أنظر: الأعلام ١٢٦/٦ ، معجم المؤلفين ٢٩٣/٣ ، أراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة

النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية د/محمد رمضان رمضاني ٣٨

(٢) التفسير والمفسرون ٤٢٢/٢

كذلك إنكاره لبعض معجزات الرسول ٢ الكونية ، ويتأول ما يشهد لها من آيات ويجحد صحة ما دل على ثبوتها من الأحاديث الصحيحة وأن معجزته هي القرآن الكريم ، وما يسلم به من بعض المعجزات الكونية فهو مجرد كرامة للنبي ٢ من ربه ، وليس من قبيل المعجزة . وكذلك رأيه في بعض المسائل الفقهية التي أعطى لنفسه حرية واسعة في استنباط الأحكام من القرآن ، مما جعله يخالف جمهور الفقهاء كراهه بجواز التيمم للمسافر ولو كان الماء بين يديه ، ولا علة تمنعه من استعماله ؛ إلا كونه مسافراً ، ويخالف بذلك جماعة الفقهاء ويحمل عليهم حملة شديدة فيما ذهبوا إليه من أن المسافر لا يجوز له التيمم مع وجود الماء.

كذلك شرحه لمبهمات القرآن بما جاء في التوراة والإنجيل مع حملته الشديدة على المفسرين الذين يزجون بالإسرائيليات في تفاسيرهم ويتخذون منها شروحات لكتاب الله ؛ نجده وقع فيما أنكر عليهم فيفسر المبهمات في القرآن بما ورد في التوراة والإنجيل ويشرح بنصوصهم النص القرآني.

ومع هذا فقد كان - رحمه الله - وعفا الله عنه مدافعاً عن الإسلام والقرآن ورد على المخالفين وأبطل تأويلاتهم ويبقى بني آدم بين مد وجزر في بحر الأخذ والعطاء.^١

ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده ٢. الشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨ هـ - ١٣٦٤ هـ) تربي الشيخ المراغي في مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده ، وتخرج منها وهو يحمل قلباً مليئاً بالرغبة في الإصلاح ، والثورة على كل من يقف في سبيل الإسلام والمسلمين . ومع عدم ملازمة الشيخ المراغي أستاذه الإمام ملازمة طويلة كما لازمه الشيخ رشيد ؛ إلا أنه أعمق أثراً وأكثر تحقيقاً لما تهدف إليه هذه المدرسة من ضروب الإصلاح ، والتجديد ولعل ذلك يرجع إلى تقلب الشيخ في المناصب الدينية الكبيرة ؛ حيث كان شيخاً للأزهر الشريف ، وما كان فيه من جاذبية وقدرة

(١) أنظر التفسير والمفسرون ٤٢٣/٢ ، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٨٠٣/٢ ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ٣٠٣ ، آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية ٤٨.

على التأثير في قلوب مستمعيه ، فعقد الدروس الدينية في تفسير القرآن الكريم وأذيعت هذه الدروس في كثير ممالك الأرض ودول الإسلام ، ثم طبعت هذه الدروس حتى يعم بها النفع . ولم تكن هذه الدروس على شيء من الكثرة ، ولم يكن مقدار ما تناوله من آيات القرآن بالمقدار الكبير فقد تناول بالشرح الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

لِّلنَّاسِ الْبَرِّ أَنْ تَوَكَّلُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

والآية (١٣٣-١٣٨) من سورة آل عمران (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٣٥} أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {١٣٦} قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {١٣٧} هَٰذَا بَيَّانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ {١٣٨} ، والآيتين (١٣-١٤) من سورة الشورى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٣٥} أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {١٣٦} قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {١٣٧} هَٰذَا بَيَّانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ {١٣٨} ، والآيتين (١٥١-١٥٣) من الأنعام (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {١٥١} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {١٥٢} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٥٣} ، (١٨٣-١٨٦) من سورة البقرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٨٣} أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١٨٤} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٨٥} وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ {١٨٦} ، الآيات (٢٤-٢٩) من سورة الأنفال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِهُ يُخْشَرُونَ {٢٤} وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٢٥} وَادْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٢٦} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {٢٧} وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {٢٨} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ {٢٩} وسورة الحجرات ، الحديد ، لقمان. (١٦٠-١٦٥) الأنعام {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {١٦٠} قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٦١} قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٦٢} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {١٦٣} قُلْ أَغْوَى اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {١٦٤} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٥} ، (١٩٩-٢٠٦) من الأعراف {خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {١٩٩} وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٠٠} إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ {٢٠١} وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ {٢٠٢} وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٢٠٣} وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {٢٠٤} وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ {٢٠٥} إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ {٢٠٦} ، (٣٠-٣٤) من فصلت {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلََّا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ {٣٠} نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ {٣١} نَزَّلْنَا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ {٣٢} وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٣} وَلََّا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلََّا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {٣٤} وشرحه لأوائل سورة الأعراف إلى الآية (٩) {المص {١} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {٢} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيََاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {٣} وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ {٤} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٥} فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ {٦} فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْلَمَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ {٧} وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن تَقَلَّتْ مُوَاظِنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨} وَمَن خَفَّتْ مُوَاظِنُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ {٩} وَالْآيَاتِ (١٢٢-١٢٣) من سورة هود {وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ {١٢٢} وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {١٢٣} ، الْآيَتَيْنِ (٥٨-٥٩) من

سورة النساء {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا {٥٨} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا {٥٩} ، والآية (١٧) من الرعد {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ {١٧} والآيات (٨٣-٨٨) من القصص {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {٨٣} مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٨٤} إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {٨٥} وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ {٨٦} وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {٨٧} وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٨٨} ، والآيات (١-١٠) من الفرقان {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا {١} الَّذِي لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا {٢} وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا {٣} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا {٤} وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {٥} قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {٦} وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا {٧} أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا {٨} انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا {٩} تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا النَّهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا {١٠} الْآيَاتِ (٦٣-٧٧) مِنْ سُورَةِ الْفُرْقَانِ {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا {٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا {٦٥} إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {٦٦} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {٦٩} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {٧٠} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {٧١} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا {٧٢} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا {٧٣} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ لِإِمَامٍ {٧٤} أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا {٧٥} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {٧٦} قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا {٧٧}

وشرحه لسورة العصر وسورة الملك . هذا هو كل ما للأستاذ المراغي - رحمه الله - من إنتاج في التفسير ، وهو على قلته عمل كبير لما يهدف إليه من إصلاح . وكان الشيخ المراغي كغيره من رجال هذه المدرسة لا يتقيد بأقوال الأئمة ، ولا يقف عند مذهب مخصوص ، ولا يقول برأي معين إلا إذا اقتنع به ^١

* - المصادر المعتمدة لهذه المدرسة في التفسير ^٢.

١- التفسير بالمأثور سواء بتفسير القرآن بالقرآن ، أو بالسنة النبوية ، أو بقول الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، ولكن دون توسع في هذا النوع لغلبة الجانب العقلي على هذه المدرسة .

٢- بلغة العرب و أشعارها دون إسراف .

(١) التفسير والمفسرون ٤٣٣/٢ ملخصاً . أنظر: الأعلام للزركلي ١٠٣/٧ ، معجم المؤلفين

٧٢٣/٣ ، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٧٩٨/٢ .

(٢) أنظر: التفسير والمفسرون ٤٢٤/٢ ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٧٤٣/٢ .

٣- الاجتهاد الخاص لإيمانهم بحرية العقل في فهم النص القرآني ، وقد تجاوزوا حدودهم وغلب عليهم الرأي الخاص فخالفوا بعض النصوص الصحيحة من السنة النبوية ، ورد الصحيح منها ؛ لمخالفته لأفهامهم ، فقتربوا من منهج المعتزلة أكثر من اقترابهم من منهج أهل السنة والجماعة الذي ينتسبون له عقيدة وشريعة.

٤- اعتماد التفسير العلمي الذي ثبتت حقيقته ، والبعد عن النظريات العلمية التي لا توافق النص القرآني.

-منهجهم في التفسير.

١- أن القرآن الكريم هو كتاب هداية وإصلاح للبشرية ، فكان المفسر في هذه المدرسة مصلح اجتماعي ، مفسر مجدد ، بعيد عن التقليد لمناهج المتقدمين ، يفسر بعيداً عن التأثير المذهبي.

٢- البعد عن الأحاديث الضعيفة ، والأحاديث الخاصة بالعقائد والغيبات وإن كانت صحيحة .

٣- عدم تفسير المبهمات.

٤- رفض الروايات الإسرائيلية

٥- رفض المصطلحات العلمية وشروحها التي تفقد القارئ التمتع بالتذوق الأدبي للقرآن الكريم .

٦- الكشف عن أسرار التشريع ، وأوجه الإعجاز في الكتاب الكريم ، بأسلوب رشيق شيق ، يجذب القارئ للنص القرآني ، ويعينه على التدبر والتفكير وحسن العمل.

(١) التفسير والمفسرون ٤٠٧/٢ وما بعدها ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٧١٨/٢ وما بعدها ، أراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية ٢١١.

*-مميزاتها والمآخذ عليها¹.

أ. مميزاتها:

١. تفسير القرآن الكريم تفسيراً مجرداً من التأثير بالمشهد العقدي ، أو التأويل المتكلف.
٢. نقد الروايات الإسرائيلية ، وإبعاد النص القرآني عن أكاذيبها و أوهامها .
٣. البعد عن الأحاديث الموضوعية ، والضعيفة ، وعدم الخوض فيما أبهم من القرآن الكريم ، والأمور الغيبية التي لم يرد نص صحيح من السنة النبوية في بيانها ، والإيمان بها دون خوض وجدل .
٤. البعد عن الاصطلاحات العلمية التي وقع في التأثير بها بعض المفسرين بدون التأكد من صحتها ، أو مناسبتها للنص المراد تفسيره.
٥. إتباع المنهج الأدبي الاجتماعي الذي يكشف عن بلاغة القرآن ، وإعجازه ومعالجة مشاكل الأمة الإسلامية بما يتناسب مع هداية الآيات .والرد على الأباطيل التي أثّرت حول الإسلام وشريعته ووفقت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة ، وكشفت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد الصالح المصلح للقضايا الإنسانية في كل زمان ومكان.
٦. تفسير القرآن الكريم بأسلوب سهل واضح ، شيق جذاب ، يتناسب مع جميع طبقات المجتمع .
٧. تفسير القرآن بالقرآن ، والقول بالشمول في القرآن الكريم ، وأنه المصدر الأول للتشريع.
٨. بسط السيرة النبوية ، والأخلاق المحمدية ؛ بأسلوب ميسر وسيلة ناجحة لنشر المبادئ الإسلامية.

(١) أنظر: التفسير والمفسرون ٤٠١/٢ وما بعدها ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٨٥٧/٢ وما بعدها

ب- مأخذ على هذه المدرسة:

١- ما يحيط ببعض رجال هذه المدرسة من غموض وشبهات ؛ وقد أشترط السلف الصالح فيمن يفسر القرآن الكريم بأن يكون معروفاً بالصلاح والاستقامة ، وحسن السيرة والسلوك ، وأن لا يكون موضع تهمة .

٢- إن بعض رجال هذه المدرسة يفتقدون شروطاً هامة في المفسر فبعضهم يجهل السنة ، ولا يحفظ من الأحاديث إلا القليل ، وذلك لغلبة الرأي الخاص ، وتهميش آراء السابقين من المفسرين ورد أقوالهم لعدم موافقتها لأراءهم.

٣- بعض مفسري هذه المدرسة خاض في المسائل الغيبية وتكلم فيما أبهم ، بل فسره بالإسرائيليات ، وأسهب في التفسير العلمي دون إثبات صحته .

٤- رد الأحاديث الصحيحة الثابتة عند الشيخين بخاري ومسلم ؛ لعدم موافقتها لرأيه الخاص خاصة المتأثرين بالمعتزلة .

٥- عدم إعتمادهم على التفسير بالمأثور ، والاكتفاء بالاجتهاد الخاص الذي أوقعهم في العدول عن الحقيقة ، والقول بالمجاز والتمثيل ، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني مالم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن .

هذا عرض موجز لهذا اللون من التفسير ، ولمدارسه ومفسريه ، وما أمتازت به هذه المدرسة وما أخذ عليها ، وما ذكر من المآخذ لا يقلل من شأن هذا اللون من التفسير ؛ وإنما يبصر القارئ بها حتى يتجنبها ، ويصححها إن كان داعياً أو معلماً أو باحثاً ، ليرتقي بالدراسات العلمية ذات الطابع الأدبي الاجتماعي نحو الهداية ، والإصلاح التي هي أسمى مقاصد القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نموذج تطبيقي للتفسير الأدبي الاجتماعي مدرسة سيد قطب - رحمه الله - وتفسيره للآيات (١٢٨-١٣٠) من سورة النساء.
أولاً:

١- ترجمة سيد قطب - رحمه الله تعالى - هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم من مواليد قرية "مواشا" في أسيوط (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ) ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي الرسالة ، والثقافة . وعين مدرساً للعربية ، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف ، ثم مراقباً فنياً للوزارة ، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا (١٩٤٨ - ١٩٥١م) ، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز ، وطالب ببرامج توافق الشريعة الإسلامية وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣م) وأنظم إلى الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ - ١٩٥٤م) وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها ، وهو في سجنه ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم عام (١٣٨٦ - ١٩٦٦م) وله - رحمه الله - مؤلفات كثيرة منها : النقد الأدبي أصوله ومناهجه - العدالة الاجتماعية في الإسلام - التصوير الفني في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن - الإسلام ومشكلات الحضارة - السلام العالمي والإسلام^١.

وتفسيره الأدبي الرائع ؛ في ظلال القرآن الذي كتبه في سجنه ، ويشاء الله أن يكون هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن ، فقد كُتِبَ له القبول بين المسلمين ، وحين زار الرئيس العراقي الراحل عبد السلام عارف مصر - وكان قد قرأ الظلال - توسط عند الرئيس جمال عبد الناصر لإخراجه من السجن بطلب من علماء العراق وصدر الأمر بالإفراج عنه أواخر عام ١٩٦٤م ، وعرض عليه عبد

(١) أنظر: الأعلام ١٤٧/٣ ، معجم المؤلفين ٨٠٤/١ ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ٣٤٧ ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٩٨٩/٣

السلام عارف أن يسافر معه إلى العراق ووعده بمنصب كبير لكنه - رحمه الله - أثار البقاء في مصر^١.

وسيد قطب - رحمه الله - يعتبر رائد مدرسة التذوق الأدبي الاجتماعي وأول من كتب به ووضع أسسه ومناهجه للمفسرين من بعده الذين اتخذوا التفسير الأدبي الاجتماعي لونا لهم ومنهاجاً وفيه يقول د/ صلاح دحبور في رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه عن "في ظلال القرآن" حيث وضع عنواناً "سيد قطب يؤسس مدرسة جديدة في التفسير" قال فيه : (يعتبر الظلال لوناً جديداً خاصاً فريداً من التفسير ويعتبر نقله جديدة بعيدة في التفسير وإن الظلال يعتبر مدرسة خاصة في التفسير يمكن أن نعتبر سيد قطب مفسراً موهوباً ومؤسساً لمدرسة متميزة فريدة في التفسير ... لقد كان سيد قطب مجدداً في الظلال حيث سار على منهج خاص)^٢

٢- التعريف بتفسير (في ظلال القرآن).

(أن هذا التفسير أول ما أشرقت شمسُه كان في كتاب آخر سماه : التصوير الفني في القرآن . ثم بدا لصاحبه أن يعرض القرآن كله على ضوء ذلك ثم ترجم هذه الأمانة في مجلة المسلمون فكتب مقالات شهرية تحت عنوان (في ظلال القرآن) ونشر في سبع حلقات تولدت عنده بعدها عزيمة أخرى أن يقوم بتأليف تفسير كامل على هذا المنهج ويصدره في كتاب مستقل في ثلاثين جزءاً يظهر كل جزء خلال شهرين ووفي - رحمه الله - بوعده بل كان أحياناً يصدر الجزء في أقل من شهرين ويكفي أنه صدر ما بين عام ١٩٥٢ وبين ١٩٥٤م. ستة عشر جزءاً بمعدل جزء في كل شهر واحد . ودخل السجن وأصدر منه جزءين السابع عشر والثامن عشر ثم خرج من السجن وعاد إليه مرة أخرى فأصدر بقية الأجزاء ، ولم يكتب بذلك بل عاد ينقح الأجزاء الأولى ويطبّعها منقحة فتضاعف حجمها فوصل في التنقيح إلى الجزء ١٣ ثم

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٩٩٣/٣.

(٢) نقلاً عن د/ فهد الرومي في اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٩٨٧/٣ .

أعدم - رحمه الله - وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات من أهمها الطبعة اللبنانية في ثمانية مجلدات ضخمة ثم طبعته دار الشروق في ستة مجلدات وما زال يطبع.^١ وهو تفسير أدبي يعالج المشكلات الإنسانية ؛ بأسلوب واضح ، وكلمات راقية ، وجمل شيقة العرض ، يعالج المفردة القرآنية بلغة بلاغية بيانية بديعة ، مع الربط بين موضوع السورة وآياتها ، موثقاً في الغالب ما يذكره بنصوص السنة النبوية ، ومطابقاً كاشفاً عن أوجه الإعجاز التشريعي في بيان الأحكام الشرعية ، مناقشاً الآراء العقدية ، والفقهية ، إن دعت لذلك الحاجة دون إسهاب ممل.^٢

٣- مصادره في التفسير .

١. التفسير بالمأثور (القرآن الكريم - السنة النبوية - أقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم).
 ٢. التفسير بالرأي المحمود ؛ للمفسرين الذي اعتمدوا هذا المنهج في تفاسيرهم .
 ٣. اللغة العربية ، و أشعارها دون إسراف أو شروحات مطولة.
 ٤. القراءات الصحيحة ، مع مناقشة إثرائية لبعض القراءات إذ دعت الحاجة لذلك .
 ٥. التفسير العلمي الموثوق دون إسهاب فيه ؛ وإنما يذكره ويدعم به تفسيره للكشف عن عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، ودقة اللفظ القرآني وإعجازه البياني.
 ٦. الثقافة الأدبية والعلمية مع صيانتها باللفظ الشرعي الذي يتناسب مع جلالة القرآن الكريم وعظمته ؛ فسيد قطب - رحمه الله - رجل أديب صاحب ثقافة عالية ، وقراءة متنوعة ، كل هذا أثر على ذوقه الأدبي عند التفسير وغالباً ما يعدل في تفسيره من حيث الصياغة والأسلوب بما يتناسب مع الكتابة التفسيرية.
- ٤- منهجه في تفسير الظلال.^٣

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٩٩٧/٣ باختصار يسير .
(٢) أنظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث ٣٤٨.
(٣) لم نذكر أمثله من تفسيره اكتفاء بتفسيره للآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة النساء وفي تفسيره عرض توضيحي لما ذكر في منهجه. أنظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٩٩٨/٣ ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ٣٤٨ .

١- استخدام الأسلوب الأدبي الاجتماعي وقد أنفرد - رحمه الله - به فيعرض لتفسير الآية بشرح شيق وعبارات عذبة ومعلومات تبهر القارئ.

٢- الوحدة الموضوعية في تفسيره فقد كان يقسم السورة الواحدة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة منها بدرس مستقل ولم ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل أهتم بها اهتماماً واضحاً في شتى جوانبها فكان له قصب السبق في ذلك.

والوحدة الموضوعية عند سيد قطب تتضمن:

- أ. التناسب بين السورة والسورة التالية لها.
- ب. التناسب بين دروس السورة الواحدة حسب تقسيماته - رحمه الله - .
- ج. التناسب بين مقاطع الدرس الواحد من السورة.
- ح. التناسب بين آيات المقطع الواحد.
- خ. التناسب بين كلمات الآية الواحدة والجمل فيها.

وتلك الأقسام هي معالم وجود الوحدة الموضوعية في تفسير سيد قطب.

٣- ترك الحديث عما أبهم في القرآن الكريم ، التحذير من الإسرائيليات ورفضها ، عدم التفصيل في المسائل الفقهية ، العقديّة ، اللغوية إلا ما كان له أثر هام في تفسير الآية ولا يتم المعنى إلا به ، البعد عن التفسير العلمي الذي لا فائدة منه

٤- التصوير الحسي والنفسي والحركي الواقعي للمعاني القرآنية وهو ما يعرف بالتشخيص المشاهد والتصوير الفني الذي يُراد به جمال العرض ، وتنسيق الأداء وبراعة الإخراج.

٥- المآخذ على هذا التفسير (في ظلال القرآن)^١

إن القلم ليخجل أمام مفسر كبير وعظيم الأثر مثل سيد قطب ؛ أن تذكر على تفسيره الرائع المبدع الذي أسس به مدرسة التدوق الأدبي شيء من المآخذ ، ونحن لا نرى أنها مأخذ بل استدراك لابد من التنبيه عليه ، وكيفينا أن هذا التفسير خرج من

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١٠٥٢/٣ .

بطن ملحمة العذاب ، وظلمة السجن والتعذيب ، التي عاشها الأستاذ الإمام سيد قطب - رحمه الله رحمه واسعة واعظم له المثوبة - وهذه التنبهات هي:

١- ذكر الأحاديث الضعيفة دون التنبه على ضعفها . وأحياناً ينسبها لغير كتب الرواية.

٢- غلبة الأسلوب الأدبي على الأسلوب الشرعي وذلك لكونه - رحمه الله - كان أديباً ثم ارتقى بأدبه بالدراسات الشرعية لاحقاً والتي أثرت عليه فجعلته يحقق الكثير مما كتبه في الظلال فما يجده القارئ الكريم في بعض المواضع من التفسير من استتكار لبعض العبارات فعليه بحسن الظن لما ذكرنا من سبب.^١

ولنا أن نصغي أسماعنا ونرتقي بأفكارنا ونصلح ما تهشم من أدبيات أسرنا مع معالجة سيد قطب لنشوز الرجل وإرشاده للمرأة في هذه المشكلة وفق هداية الآيات.

ثانياً:

تفسير سيد قطب - رحمه الله - لقوله تعالى : {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {١٢٨} وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمِغَلَّةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {١٢٩} وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} {١٣٠}

ثم نمضي خطوة أخرى مع التنظيم الاجتماعي - في محيط الأسرة - في هذا المجتمع الذي كان الإسلام ينشئه ، بمنهج الله المتمثل من الملاء الأعلى ، لا بعوامل التغير الأرضية في عالم المادة أو دنيا الإنتاج : {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {١٢٨} وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ

(١) أنظر: الأمثلة التي ذكرها أ.د/ فهد الرومي في اتجاهات التفسير ١٠٥٢/٣ .

(٢) في ظلال القرآن ٧٦٨/٢ .

تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمِغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {١٢٩} وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا {١٣٠}

لقد نظم المنهج - من قبل - حالة النشوز من ناحية الزوجة ؛ والإجراءات التي تتخذ للمحافظة على كيان الأسرة [وذلك في أوائل هذا الجزء] فالآن ينظم حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج ، فتهدد أمن المرأة وكرامتها، وأمن الأسرة كلها كذلك . إن القلوب تتقلب ، وإن المشاعر تتغير . والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها ، ويتعرض لكل ما يعرض لها ؛ في نطاق مبادئه واتجاهاته ؛ وتصميم المجتمع الذي يرسمه وينشئه وفق هذا التصميم . فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة ؛ وأن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق - وهو أبغض الحلال إلى الله - أو إلى الإعراض ، الذي يتركها كالمعلقة . لا هي زوجة ولا هي مطلقة ، فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجها ، أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية . كأن تترك له جزءا أو كلا من نفقتها الواجبة عليه . أو أن تترك له قسمتها وليلتها ، إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها ، وكانت هي قد فقدت حيويتها للعشرة الزوجية أو جاذبيتها . . هذا كله إذا رأت هي - بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها - أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها : {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا}. هو هذا الصلح الذي أشرنا إليه

ثم يعقب على الحكم بأن الصلح إطلاقا خير من الشقاق والجفوة والنشوز والطلاق : {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} فينسم على القلوب التي دبت فيها الجفوة والجفاف ، نسمة من الندى والإيناس ، والرغبة في إبقاء الصلة الزوجية ، والرابطة العائلية

إن الإسلام يتعامل مع النفس البشرية بواقعها كله . فهو يحاول - بكل وسائله المؤثرة - أن يرفع هذه النفس إلى أعلى مستوى تهيتها له طبيعتها وفطرتها . . ولكنه في الوقت ذاته لا يتجاهل حدود هذه الطبيعة والفطرة ؛ ولا يحاول أن يفسرها على ما

ليس في طاقتها ؛ ولا يقول للناس: اضربوا رؤوسكم في الحائط فأنا أريد منكم كذا والسلام ! سواء كنتم تستطيعونه أو لا تستطيعونه !

إنه لا يهتف للنفس البشرية لتبقى على ضعفها وقصورها ؛ ولا ينشد لها أناشيد التمجيد وهي تتلطب في الوحل ، وتتمرغ في الطين - بحجة أن هذا واقع هذه النفس ! ولكنه كذلك لا يعلقها من رقبتها في حبل بالملأ الأعلى ، ويدعها تتأرجح في الهواء ؛ لأن قدميها غير مستقرتين على الأرض . بحجة الرفعة والتسامي !

إنه الوسط . . . إنه الفطرة . . . إنه المثالية الواقعية . أو الواقعية المثالية . . . إنه يتعامل مع الإنسان ، بما هو إنسان . والإنسان مخلوق عجيب . هو وحده الذي يضع قدميه على الأرض ؛ وينطلق بروحه إلى السماء . في لحظة واحدة لا تفارق فيها روحه جسده ؛ ولا يفصل إلى جسد على الأرض وروح في السماء ! وهو هنا - في هذا الحكم - يتعامل مع هذا الإنسان . وينص على خصيصة من خصائصه في هذا المجال: {وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} أي أن الشح حاضر دائماً في الأنفس . وهو دائماً قائم فيها . الشح بأنواعه . الشح بالمال . والشح بالمشاعر . وقد تترسب في حياة الزوجين - أو تعرض - أسباب تستثير هذا الشح في نفس الزوج تجاه زوجته . فيكون تنازلهما له عن شيء من مؤخر صداقها أو من نفقتها - إرضاء لهذا الشح بالمال ، تستبقي معه عقدة النكاح ! وقد يكون تنازلهما عن ليلتها - إن كانت له زوجة أخرى أثيرة لديه - والأولى لم تعد فيها حيوية أو جاذبية إرضاء لهذا الشح بالمشاعر ، تستبقي معه عقدة النكاح ! والأمر على كل حال متروك في هذا للزوجة وتقديرها لما تراه مصلحة لها . . لا يلزمها المنهج الرباني بشيء ؛ ولكنه فقط يجيز لها التصرف ، ويمنحها حرية النظر والتدبر في أمرها وفق ما تراه .

وفي الوقت الذي يتعامل المنهج الإسلامي مع طبيعة الشح هذه ، لا يقف عندها باعتبارها كل جوانب النفس البشرية . بل هو يهتف لها هتافاً آخر ، ويعزف لها نغمة أخرى: {وَإِنْ تَحْسَبُوا وَيَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {١٢٨} فالإحسان والتقوى هما مناط الأمر في النهاية . ولن يضيع منهما شيء على صاحبة ، فإن الله خبير بما تعمله كل نفس ؛ خبير ببواعثه وكوامنه . . والتهاف للنفس المؤمنة

بالإحسان والتقوى ، والنداء لها باسم الله الخبير بما تعمل ، هتاف مؤثر ، ونداء مستجاب . . بل هو وحده الهتاف المؤثر والنداء المستجاب

ومرة أخرى نجدنا أمام المنهج الفريد ، وهو يواجه واقع النفس البشرية وملايسات الحياة البشرية ، بالواقعية المثالية ، أو المثالية الواقعية ، ويعترف بما هو كامن في تركيبها من ازدواج عجيب فريد : {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {١٢٩} وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا . {١٣٠} .

إن الله الذي فطر النفس البشرية ، يعلم من فطرتها أنها ذات ميول لا تملكها . ومن ثم أعطاها لهذه الميول خطاما . خطاما لينظم حركتها فقط ، لا ليعدمها ويقتلها ! من هذه الميول أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات . فيكون ميله إليها أكثر من الأخرى أو الأخريات . وهذا ميل لا حيلة له فيه ؛ ولا يملك محوه أو قتله . . فماذا ؟ إن الإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه ؛ ولا يجعل هذا إثما يعاقبه عليه ؛ فيدعه موزعا بين ميل لا يملكه وأمر لا يطيقه ! بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء - ولو حرصوا - لأن الأمر خارج عن إرادتهم . . ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم . هناك العدل في المعاملة . العدل في القسمة . العدل في النفقة . العدل في الحقوق الزوجية كلها ، حتى الابتسامة في الوجه ، والكلمة الطيبة باللسان . . وهذا ما هم مطالبون به . هذا هو الخطام الذي يقود ذلك الميل . لينظمه لا ليقته ! {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} فهذا هو المنهي عنه . الميل في المعاملة الظاهرة ، والميل الذي يحرم الأخرى حقوقها فلا تكون زوجة ولا تكون مطلقة . . ومعه الهتاف المؤثر العميق في النفوس المؤمنة ؛ والتجاوز عما ليس في طاقة الإنسان .

{وَأِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} ولأن الإسلام يتعامل مع النفس البشرية بجملة ما فيها من مزاج فريد مؤلف من القبضة من الطين والنفخة من روح الله . وبجملة ما فيها من استعدادات وطاقات . وبواقعيتها المثالية ، أو مثاليته

الواقعية ، التي تضع قدميها على الأرض ، وترف بروحها إلى السماء ، دون تناقض ودون انقسام.

لأن الإسلام كذلك . . كان نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم هو الصورة الكاملة للإنسانية حين تبلغ أوجها من الكمال ؛ فتنمو فيها جميع الخصائص والطاقات نموا متوازنا متكاملا في حدود فطرة الإنسان.

وكان هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقسم بين نسائه فيما يملك ، ويعدل في هذه القسمة ، لا ينكر أنه يؤثر بعضهن على بعض . وأن هذا خارج عما يملك . فكان يقول: " اللهم هذا قسمي فيما أملك . فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب " أخرجه أبو داود

فأما حين تجف القلوب ، فلا تطبق هذه الصلة ؛ ولا يبقى في نفوس الزوجين ما تستقيم معه الحياة ، فالتفرق إذن خير . لأن الإسلام لا يمسك الأزواج بالسلاسل والحبال ، ولا بالقيود والأغلال ؛ إنما يمسكهم بالمودة والرحمة ؛ أو بالواجب والتجمل. فإذا بلغ الحال أن لا تبلغ هذه الوسائل كلها علاج القلوب المتنافرة ، فإنه لا يحكم عليها أن تقيم في سجن من الكراهية والنفرة ؛ أو في رباط ظاهري وانقسام حقيقي !

{وَأِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا {١٣٠}}

فالله يعد كلا منهما أن يغنيه من فضله هو ، ومما عنده هو ؛ وهو - سبحانه - يسع عباده ويوسع عليهم بما يشاء في حدود حكمته وعلمه بما يصلح لكل حال .

إن دراسة هذا المنهج ، وهو يعالج مشاعر النفوس ، وكوامن الطباع ، وأوضاع الحياة في واقعيتها الكلية . . تكشف عن عجب لا ينقضي ، من تتكر الناس لهذا المنهج . . هذا المنهج الميسر ، الموضوع للبشر ، الذي يقود خطاهم من السفح الهابط ، في المرتقى الصاعد ، إلى القمة السامقة ؛ وفق فطرتهم واستعداداتهم ؛ ولا يفرض عليهم أمرا من الارتفاع والتسامي ، إلا وله وتر في فطرتهم يوقع عليه ؛ ولها استعداد في طبيعتهم يستجيشه ؛ وله جنر في تكوينهم يستتبته . . ثم هو يبلغ بهم - بعد هذا كله - إلى ما لا يبلغه بهم منهج آخر . . في واقعية مثالية . أو مثالية واقعية . . هي صورة طبق الأصل من تكوين هذا الكائن الفريد . ولأن هذه الأحكام

الخاصة بتنظيم الحياة الزوجية ، قطاع من المنهج الرباني لتنظيم الحياة كلها ؛ ولأن هذا المنهج بجملته قطاع من الناموس الكوني ، الذي أراده الله للكون كله ، فهو يتوافق مع فطرة الله للكون ، وفطرة الله للإنسان ، الذي يعيش في هذا الكون.. لأن هذه هي الحقيقة العميقة في هذا المنهج الشامل الكبير ، يجيء في سياق السورة بعد الأحكام الخاصة لتنظيم الأسرة ، ما يربطها بالنظام الكوني كله ؛ وسلطان الله في الكون كله ، وملكية الله للكون كله . ووحدة الوصية التي وصى الله بها الناس في كتبه كلها ؛ وثواب الدنيا وثواب الآخرة.. وهي القواعد التي يقوم عليها المنهج كله. قواعد الحق والعدل والتقوى.

* *

المبحث الثاني

التفسير الأدبي الاجتماعي للآيات (١٢٨-١٣٠)

من سورة النساء حكم نشوز الرجل وأثره على المرأة نفسياً واجتماعياً .وكيفية علاجه.

قال تعالى: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {١٢٨} وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنُزُّوهُمَا كَالْمِغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {١٢٩} وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا {١٣٠}

الآيات الكريمة تعالج مشكلة النشوز من جهة الزوج كما عالجت من قبل هذه الآيات مشكلة نشوز المرأة في الآيات (٣٤ - ٣٥) ونشوز الزوج له علامات ، ودلائل تنبه الزوجة على وجود تصدع في الحياة الزوجية ، يحتاج منها إلى علاج ، حتى لا تصاب الأسرة بالتفكك ، وحتى إذا وصلت إلى هذه المرحلة فقد وجه الله سبحانه وتعالى الزوجين إلى كيفية الفرقة الراقية التي يبقى معها الاحترام وصيانة ذكرى المعروف الذي كان بينهما. ولنبدأ بما بدأت به الآيات وهو معالجة حالة نشوز الرجل وإعراضه.

١. قال تعالى: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {١٢٨}

{وَإِنْ} الواو حرف استئناف . ("إن" حرف شرط جازم . و " امرأة" جمعها من غير لفضها).^١ (وهي نكرة في سياق الشرط فيعم كل امرأه ، والمراد بها المرأة المتزوجة).^٢ بدلالة قوله "بعلها" .

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : محمد علي الدرة ٦٣٨/٢ .

(٢) تفسير آيات الأحكام في سورة النساء أ.د / سليمان اللحام ١٠٧٤/٢ .

"خَافَتْ" (توقعت ، وعلمت ، ورأت والعلاقة بينهما : أن الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنه مما يُخاف منه ، فهو من باب التعبير عن السبب بالمسبب)^١ .
وسمي الزوج بعلاً؛ والبعل في اللغة: الباء والعين واللام أصول ثلاثة : فالأول صاحب ، يقال للزوج بَعْل ، والأصل الثاني جنس من الحيرة والدهش يقال: بَعْل الرجل إذا دَهِشَ . والأصل الثالث: البَعْل من الأرض: المرتفعة التي لا يصيبها المطر في السنة إلا مرة واحدة.^٢

(والبَعْل هو الذكر من الزوجين قال تعالى: {وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} سورة هود..٧٧ . وجمعه بعولة ، نحو فحل وفحوله)^٣ .و(سمي الزوج بعلاً ؛ لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها ، والبعل: المستعلي على غيره ، ولما كان الزوج مستعلياً على المرأة ، قائماً بأمرها ؛ سمي بعلاً ويقال للمرأة أيضاً بعل ، وبعلة ، كما يقال لها: زوج وزوجة والتاء لاحقه لتأنيث الجمع).^٤

٢. معنى نشوز الرجل وإعراضه ولماذا بدأت الآيات بذكر النشوز؟
النشوز: النون والشين والزاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو. والنشز: المكان العالي المرتفع ، والنشز والنشوز: الارتفاع ثم استعير فقيل نشزت المرأة : استصعبت على بعلها ، وكذلك نشز بعلها : جفاها وضربها.^٥
والنشوز بين الزوجين: وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه ،ونشز هو عليها نشوزاً ضربها وجفاها وأضر بها.^٦
النشوز في القرآن الكريم على أربعة أوجه:^٧

(١) تفسير القرآن الكريم ٦٣٨/٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة بعل ١٢٣ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ١٣٥ .

(٤) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٦٣٩/٢

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة نشز ٩٩١ ، أنظر مفردات ألفاظ القرآن ٨٠٦ ، بصائر

ذوي التمييز ٥٦/٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠/٨ .

(٦) لسان العرب مادة نشز ١٨٧/٦ بتصرف يسير .

(٧) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ٢٧٣ ، أنظر: القاموس القرآني - الوجوه

والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني ٣٥٧ .

١- النشوز: يعني العصيان من المرأة لزوجها فذلك قوله تعالى في النساء :
 {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ
 أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا } {٣٤} وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
 فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا } {٣٥} يعني واللاتي تعلمون عصيانهن للزوج.

٢- النشوز: يعني الأثرة : أن يؤثر زوج المرأة عليها غيرها فذلك قوله في النساء
 : {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} يعني علمت من زوجها أثره
 أن يؤثر عليها غيرها من النساء. {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}
 بالمال.

٣- النشوز: يعني الارتفاع للقيام ، فذلك قوله في قد سمع الله: {وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا
 فَانْشُزُوا} سورة المجادلة. ١١. يعني ارتفعوا فقوموا من مجالسكم .

٤- النشوز: يعني الحياة ، فذلك قوله في البقرة: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ
 نُنْشِزُهَا} سورة البقرة. ٢٥٩. يعني كيف نحياها.

(ونشوز الرجل أن يسيء عشرة المرأة . "أو إعراضاً إلى غيرها")^١

(والإعراض عن الشيء : الصد عنه)^٢

(والفرق بين النشوز والإعراض : أن النشوز: التباعد ، والإعراض : أن لا
 يكلمها ولا يأنس بها .)^٣

(والإعراض أشد من النشوز).^٤

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرجان الجوزي ١/٢٢٨ ، أنظر: الترجمان عن غريب

القرآن لأبي المحاسن اليماني ٩٥ ، معاني القرآن للفراء ١/٢٩٠

(٢) لسان العرب مادة عرض ٤/٣٠٧

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/٢٤١

(٤) تفسير آيات الأحكام في سورة النساء أ.د /سليمان اللاحم ٢/١٠٧٤

و)النشوز من بعل المرأة أن يسيء عشرتها وأن يمنعها نفسه ونفقتها والله عز وجل قال في النساء: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعل الله فيه خيراً كثيراً} {١٩}

وقال: {فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ} سورة البقرة. ٢٢٩ وقال: {وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا} سورة البقرة. ٢٣١^١

فالنشوز من الرجل هو ترفعه على زوجته بترك بعض حقوقها ، كالتقصير في الإنفاق ، وحسن العشرة ، وعدم الشعور بالأنس ودفع العاطفة. أما الإعراض فهو أشد ففيه التعالي والتجافي. وسوء العشرة الذي يصل عند بعض الرجال إلى الضرب والتجريح بالقول وحرمان الحقوق الزوجية وقد يتعداه إلى الإساءة إلى الأولاد بالشتم وحرمان الحقوق من نفقة ورعاية . ومن أسرار التعبير القرآني أن قدم النشوز على الإعراض ليلفت نظر الزوجة إلى أن الإهمال اليسير في حقوق الزوجة إذا لم يتدارك بالعلاج سوف يتحول إلى صدع كبير يصعب علاجه إلا بتنازلات كبيرة من حقوق الزوجة ، وأحياناً يصل إلى الأبناء ، وقد ينتهي بالفراق أحياناً . ومن أسرار التقديم في النشوز على الإعراض إشارة إلى قوة الكراهية إذا وقعت في قلب الرجل فمجرد التغيير في السلوك والتعامل الذي لا مجافاة فيه سهل تداركة بمعرفة أسباب ذلك فقد يكون تقصير من الزوجة في واجباته الخاصة ، أو في مراعاة ظروفه المالية أو الصحية أو العلمية ، تجعل الرجل يظهر لزوجته كراهيته لسوء أدبها معه ، أما إن أعرض وكشف عن ذلك بالضرب أو الشتم أو الحرمان من النفقة ، أو من نفسه ، أو التصريح برغبته في امرأة أخرى ، رغبة تعويض عن تقصير ، وليس رغبة عن حاجة للولد أو لمجرد التعدد فهذه دلالة بغض شديد سكن قلبه إتجاه زوجته .

وأشارت الآية في بدايتها إلى استئثار الأنثى المرأة^٢ لأقل تغيير يحدث في سلوك الرجل فقال: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ} فخوفها عن يقين ، وليس عن مجرد ظن

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٥/٢ ، أنظر: أضواء البيان ٣٢٩/١

(٢) توجد إناث ولكن لسنا سيدات ولا توصف بالمرأة لأنها تفتقد صفات المرأة السيدة فكل امرأة سيدة أنثى وليست كل أنثى كذلك. كما يقال كل رجل ذكر وليس كل ذكر رجل.

تحركه الوسائس ، أو أحاديث الأعداء من النساء ، فالزوجة العاقلة لديها قوة استشعار في جميع حواسها ترى وتسمع وتشم ، ويتألم جسدها بمجرد اختلال ميزان حياتها الزوجية ؛ ومن تؤمن بالله حق الإيمان تقرن خوفها الظني في البداية بالقرائن الواقعية ، لأن مجرد الظن بغير دليل خراب لبيتها ، وفطر شديد في قلبها ؛ ولأن الرجل لا يقبل مجرد الظن ولا يغفر فيه ، فلا بد من القرائن حتى تواجه الصلح بقوة كرامة النفس ، وتحيا بشعور عزة اليقين ، وحين لا يقع الصلح وتقع الفرقة ستنتال وعد الله بالغنى والسعة في حياتها القادمة ، لذا قال: "خَافَتْ" أي خوف يقين لما سترتب عليه من عدة أحكام ذكرتها الآيات ولما أشرنا إليه من طبيعة نفسية الرجل الذي يرفض الظنون والإساءة والشك لمجرد الظن فسبحان الله الذي ضمن كلمة "خَافَتْ" هذه الأسرار وسيبقى فيها من ألطاف المعاني ما سيكشفه كل متدبر متأمل للكتاب الكريم.

وبهذا يظهر الفرق بين وصف تعالي المرأة على حقوق زوجها أو إظهار الكراهية له بالنشوز^١ وبينوصف شدة كراهيته لها والانصراف عنها لغيرها بالإعراض ؛ فالنشوز يكون من الرجل و المرأة وله علاج فالمرأة لها الموعظة ، والهجر ، ومن ثم الضرب.

والرجل له الاسترضاء بتقديم تنازلات تختلف شدتها باختلاف نشوزه ، وإعراضه ، وغالباً ما ينتهي الإعراض بالخلع أو الطلاق ، أو البقاء على مسمى عقد الزوجية وإسقاط حقوق الزوجة كاملة إذا كانت حالة الزوجة تستدعي وجود الزوج في الشكل الصوري الظاهري في حياتها كحاجتها لذلك نتيجة فقدان الأهل ، أو حماية للأولاد من الضياع ، أو كواجهه اجتماعية أمام الناس.

(١) انظر الآيات (٣٤-٣٥) التي تحدثت عن نشوز المرأة وعلاجه .

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن النشوز أشد من الإعراض مثل: ابن حيان في البحر المحيط ٣/٣٦٣ ، والأوسى في روح المعاني ٥/٢١٠ ، أ.د/صالح بن غانم السدلان في كتابه النشوز ضوابطه - حالاته - اسبابه - طرق الوقاية منه وسائل علاجه في ضوء القرآن والسنة ص ٢٠ ، وقد اشرنا بالشرح والبيان الفرق بين النشوز والإعراض وأن الإعراض أشد من النشوز والله أعلم .

٣- {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} ("فَلَا" الفاء ، واقعة في جواب الشرط . "لَا" نافية للجنس تعمل عمل "إِنَّ" . " فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا" فلا مؤاخذه، ولا إثم عليهما)^١ أي على الزوجين ؛ في إتخاذ كل ما يُصلح الحياة الزوجية ويقضي على أسباب النشوز والإعراض ، (فالصلح من جهة المرأة أن تتنازل عن بعض حقها من القسم أو من النفقة أو منهما معاً ، كأن تهب يومها أو بعض أيامها للزوجة المقرّبة لزوجها ، أو تعفيه من بعض نفقتها أو ما يبقى من مهرها "المؤخر" أو من جميع حقوقها لتبقى في عصمته . والصلح من جهة الزوج^٢ يكون بالاتفاق مع زوجته أن يزيد في نفقتها لها على أن تعفيه من حقها في المبيت ، وأن يكون يومها لضررتها ، أو أن تكون في حلّ منه فيطلقها ، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك ، وإن لم ترض بدون حقها من القسم في المبيت والنفقة كان على الزوج أن يوفّيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان ، فإن أمسكها ووفّاها حقها مع كراهيته فهو محسن.^٣

ولكن هل هذا الصلح عام لجميع الأزواج؟ (لا) لابد من التفريق بين المرأة الغنية، والفقيرة ، ومتوسطة الحال ؛ فالزوجة الغنية التي تستطيع كفاية نفسها وترى في التنازل عن مؤخر صداقها وعن تكاليف نفقاتها لا ضرر عليها فلا حرج عليها في ذلك ، ولكن متوسطة الحال ، أو الفقيرة ، وذات المسؤوليات المادية على أسرتها من والدة وأخوات التي لا تدخر من مالها شيء ، هل حين تقدم التنازلات المادية هل ستعرضها للضيق والحاجة للآخرين . إن الدين يحفظ على الإنسان نفسه ، وعرضه وعقله وماله ، والصلح بين الزوجين لابد أن يكون صلح خير لهما وليس لأحدهما على حساب الآخر أو صلح معصية . كذلك التنازل عن حق المبيت فكم من رجل كاره لزوجته وهي محبة له ترى معه صيانة نفسها ، وعفافها وسعادتها ، فإذا كان من شروط الصلح التنازل عن المبيت الذي يحقق للزوجة مآزكنا فلا بد من وقفة

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٦٣٩/٢ ، ٦٤١ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٦٠٧/١

(٣) معالم التنزيل ٦٠٦/٢

وتأمل من جهة الزوج والزوجة ؛ فعلى الزوجة مصارحة زوجها بمشاعرها إتجاهيهو
 إنه حماية لها وحتى لا تزيد من كراهية مشاعره فعليها التنازل عن بعض أيامها حتى
 لا يقع عليها الضرر الكبير وإذا رفض الزوج إلا بالتنازل عن حقها فهنا الطلاق هو
 الصلح لمثل حالها ؛ وذلك أن المعاشرة بالإكراه من الزوج يسبب لها آلام نفسية لا
 تعلم به بعض الزوجات ، ومظاهر هذه الآلام هي شعورها بالجهد الجسدي ، وثقل في
 الحركة ، ونكد نفسي ، وهذه هي مشاعره وآلامه هو ينقلها لها ، ولا أحسب امرأة
 عاقلة ابتليت في عاطفتها أن ترضى بزيادة الألم على أن تسعى لراحتها ، وشفاء
 جروحها . وما ذكرناه هو ما يدركه الرجل العاقل عند قراءته لسبب نزول الآية
 الكريمة حيث ورد في البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أن سودة
 بنت زمعة وهبت يومها لعائشة ، وكان النبي ^٢ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة.^١

وعنها رضي الله عنها قالت: ما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها^٢
 من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة. قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول
 الله لعائشة قالت يا رسول الله قد جعلت يومي منك لعائشة فكان رسول الله يقسم
 لعائشة يومين : يومها ، ويوم سودة.^٣

وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في
 القسم ، من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً ، فيدنون من كل
 امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بن
 زمعة حين أسنت وفريق^٤ أن يفارقها رسول الله ^٢: يا رسول الله يومي لعائشة ، فقبل

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب المرأة تهب يومها من زوجها لضررتها وكيف يقسم ذلك . رقم
 الحديث (٥٢١٢) ١٦٧٦/٣

(٢) كأنها تمننت أن تكون في مثل هديها وطريقتها . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري
 مادة سلخ ٣٨٩/٢ ، لسان العرب مادة سلخ ٣١٧/٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الرضاع باب (١٤) جواز هبتها نوبتها لضررتها . رقم الحديث (١٤٦٣)
 ٨٧٩/٢

(٤) خافت . الفرق بالتحريك : الخوف والفرع . غريب الحديث والأثر لابن الجزري مادة: فرق
 ٤٣٨/٣ ، الكليات مادة فرق ٣٥٧.

ذاك رسول الله ﷺ منها . قالت: نقول في ذلك : أنزل الله عز وجل وفي أشباهها ،
أراه قال: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا^١} وعن هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة رضي الله عنها {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} قالت: هي
المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها ، فيريد طلاقها ويتزوج غيرها ، تقول له:
أمسكني ولا تطلقني ، ثم تزوج غيري ، فأنت في حل من النفقة عليّ والقسمة لي ،
فذلك قوله تعالى: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ^٢}

فهذه الروايات تفيد أن أم المؤمنين السيدة سودة تنازلت عن يومها للسيدة عائشة
رضي الله عنهما بسبب كبر سنهما ، ومعرفتها بحب الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله
عنها ، ولشعورها بالخوف من الفراق ، فقد كان شعوراً وليس فعل وقع من الرسول
ﷺ بطلاقها فلم يثبت هذا في نص وسند صحيح^٣. ولكن حرصها على مكانتها كزوجة
لنبي ، و أم للمؤمنين مع ما في قلبها من خوف التقصير في حق الرسول ﷺ في
المبيت لكبر سنهما ؛ جعلها تتدارك هذا الخوف بتقديم التنازل عن يومها. مع أن
الرسول ﷺ لم يطلب منها ذلك ، لكنه قبل تنازلها موافقاً لرغبتها ، وتقديراً لوضعها
ولتناسي به أمته في مشروعية ذلك وجوازه . فتأمل أيها الزوج المصالح أن هناك
فرقاً بين الزوجة الكبيرة الغير قادرة على واجباتها الزوجية وبين الزوجة الصغيرة أو
القادرة على أداء الحقوق الزوجية بحب ورضا

ونذكرنا من شروط المصالحة أن للمرأة التنازل عن جميع حقوقها مع المحافظة
على البقاء في عصمة الزوج ؛ ولنا وقفة مع هذا النوع من أنواع الصلح لقد ذكر هذا

(١) سنن أبي داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء. رقم الحديث (٢١٣٥) ٣٢٤. حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح باب {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} رقم الحديث (٥٢٠٦) ١٦٧٥/٣ ، أنظر: الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي ٩٢

(٣) محاسن التأويل ٥١٠/٢.

الصلح في كتب الفقه^١ والتفسير^٢ ولا يرى العلماء غضاضة فيه مادام الزوجين متفقان ولكن وقفنا حول هذا الاتفاق للكشف عن عواقبه مستقبلاً وليس في الرضى به بداية عند عقد الصلح بين الزوجين لدفع التمزق الأسري الواقع في الوقت الحاضر ، فهذا الصلح في التنازل عن جميع الحقوق ، لا يُشعر الزوج بوجود كيان مسؤول عنه ولو بالسلام والتهنئة على أقل واجب حسن العشرة مع تلك الزوجة فهل هذا التنازل الكلي عن حقوق زوجته يمنعه من مواساتها في حزن ، أو جبر خاطرها بكلمة شكر على تفوق علمي تحققه ، أو يحققه أبناءهما ، أو تقديم المساعدة الصحية أو المادية إذا دعت لذلك الحاجة ، فهل من معاني الإنسانية الإسلامية الراقية البقاء على مسمى العقد ؟. لقد أمر الله بالإحسان وتقديم المعروف ومديد العون للقريب والبعيد مع أهل الإسلام وغيرهم ؛ فما بالك بأقرب الناس بعد الوالدين الزوجة شريكة الحياة ، أم الأولاد ، من حفظت ، وصانت ، وأنجبت ، وحفظت الغيبة هل عند كبرها وضعف سنّها أو كراهيتها لا يبقى من شريك حياتها إلا ظل عقد النكاح ، لا أرى أن أهل الإسلام يفعلون ذلك وهم من وصاهم رسولهم^٣ بالنساء خيراً ، وجعل دلالة كرمهم إكرامهم للنساء . إذاً ليكون معنى هذا الصلح (التنازل عن جميع الحقوق والبقاء في عصمة الزوج) هو تنازل جسدي وشيء من التنازل المادي الذي لا يضر بها ، مع بقاء حسن العشرة والعمل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسَوَّأُوا الْقُرْبَىٰ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ سُبُوحُ الْعِزَّةِ يَوْمَ الْبَقَرَةِ ٢٣٧﴾ وإلا فالخلع أو الطلاق أرحم من الشعور بالنكران ، والعيش في ظل الإهمال ، والحرمان ولا تنسى رياح الشوق للشريك ، ولذكرى الحنان والمودة ؛ التي قد تعصف بها للموت حسرة وقهراً ، أو لعذاب الفراغ العاطفي وما فيه من ويلات لذا تأمل أيها الرجل الزوج المسلم قبل أن تقدم على قبول هذا الشرط صلحاً لك وهدم لشريكة

(١) أنظر: المغني لابن قدامة ٢٦٢/١٠ ، الروض المربع شرح زاد المستقنع ١٣٤/٣ ، فقه السنة

٣٠٧/٢

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٥٥/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٤٠٥/٥ ، الكشاف ١٥٧/٢ ، جامع

البيان في تأويل أي القرآن ٣٠٤/٤ ، مفاتيح الغيب ٥٢/١١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل

٢٤٤/١ ، التحرير والتنوير ٢١٤/٥ ، إرشاد العقل السليم ٤٣٦/٢ ، روح المعاني ٢١٠/٥ ، زاد

المسير في علم التفسير ٤٨٢/١ ، لباب التأويل في معاني التنزيل ٤٣٤/١ .

حياتك والخوف الأعظم أن ينال هذا الشرط حياة الأولاد فيتم التنازل عنهم ، وتبدأ المشاكل و الأحقاد منهم على والدهم ، وكثيراً ما يحدث ذلك فنسيان الزوجة والرضى بالتقصير في حقها المادي الذي هو عنوان قوامه الرجل كثيراً ما ينال الأولاد ويحرمهم الحياة الكريمة. وإذا راجعت روايات أسباب النزول ستجد أن معلم الأمة ورسولها ٢ لم يمتنع عن نفقة سودة رضي الله عنها.

ولنا وقفة أخرى عن شرط يقدمه الزوج صلحاً بينه وبين زوجته وهو أن يزيد في نفقتها ، أو يعطيها مالاً مقابل تنازلها عن حقها الشرعي في المبيت ؛ وبعض الفقهاء لا يرى بأساً في ذلك مادامت الزوجة راضية. ولكن هل تقبل المرأة العاقلة المسلمة المحبة لزوجها بهذا الشرط المقابل لكرامتها ، وعزة نفسها ، والذاكرة لحسن عشرة زوجها . هل تقبل مالاً مقابل التنازل عن جسدها ؛ إنه مال مقابل كراهيته لها ، والترفع عنها ، لا أظن زوجة تحترم ذاتها وتعلم بتكريم الخالق سبحانه وتعالى لإنسانيتها ، ولأنوثتها وسيادتها كامراً تقبل بإهانة جسدها بمقدار من المال حتى لو رآه البعض من أهل العلم أنه جبر لخطورها ؛ فقد تحطمت الخواطر بالنشوز ، وانحسرت الكرامة بسبب الإعراض ، وخالف النفس أعلم بها لذا جبرها حين تختار الخلع أو الطلاق ؛ بالسعة والغنى منه سبحانه وتعالى فهو من يجبرها بعد كسرها وهو من يغنيها بالسعة بعد الضيق والحرَج . فسبحان من وضع الألم والشفاء.

وما ذكرنا في بيان أهمية صلاحية شروط الصلح للزوجين هو ما أكدته الآية الكريمة بقوله: {صُلِّحًا وَالصِّلْهُ خَيْرٌ} فالتأكيد بـ"صُلِّحًا" والوصف "خَيْرٌ" يدل دلالة واضحة على أهمية تحقق الصلح والخير في شروط المصالحة لكلا الزوجين فيزول النشوز والإعراض وتستقر مشاعر المرأة والرجل وتهدأ الصراعات النفسية.

(١) أنظر: المراجع الفقهية والتفسيرية السابقة الذكر.

(٢) قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: (وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد في قوله: "صلحاً" والإظهار في مقام الإضمار في قوله: "الصلح خير" والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة "خير" فإنها تدل على فعل سجية)

وفي قوله تعالى: {وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} دلالة على ضعف النفس عند التنازل عن بعض حقوقها ، وصعوبة مجاهدتها فقوله: "وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ" يعني: ملازمة الشح للنفوس البشرية حتى كأنه حاضر لديها.^١

(والشح بخل مع حرص).^٢ (وشح: الشين والحاء الأصل فيه المنع ثم يكون منعاً مع حرص).^٣ (ولما كان منشأ التشاجر المانع من الصلح شكاسة في الطباع ، صَوَّر سبحانه وتعالى ذلك تنفيراً عنه ، فقال اعتراضاً بين هذه الجمل للحث على الجود بانياً الفعل للمجهول إشارة إلى أن هذا المُحْضِر لا يرضى أحدٌ نسبته إليه "وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ" أي الناظرة إلى نفاستها عجباً "الشُّحَّ" أي الحرص وسوء الخلق وقلة الخير والنكد والبخل بالموجود ، وكله يرجع إلى سوء الخلق والطبع الرديء واعوجاج الفطرة الأولى الذي كني عنه بالإحضار الملازم الذي لا انفكاك له إلا بجهد كبير ينال به الأجر الكثير.

ولما كان هذا خلقاً رديئاً لم يذكر فاعله ، والمعنى : أحضرها إياه مُحْضِر ، فصار ملازماً لها ، لا تنفك عنه إلا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى في قهرها عليه بتذكير ما عنده سبحانه وتعالى من حسن الجزاء ، ولما كان التقدير: فإن شححتُم فإنه أعلم بها في الشح من موجبات الذم ، عطف عليه قوله {وَإِنْ تَحْسَبُوا} أي توقعوا الإحسان بالإقامة على نكاحكم وما ندبتم إليه من حسن العشرة وإن كنتم كارهين)^٤.

("وَتَتَّقُوا" التشوز والإعراض وإن تظافرت الأسباب الداعية إليهما و تصبروا على ذلك ولم تضطروهن على فوت شيء من حقوقهن ، أو بذل ما يعز عليهن)^٥ ("فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ" من تحمل المشاق في ذلك ، "خَبِيرًا" فيجازيكم ويثيبكم)^٦

(١) التحرير والتنوير ٢١٧/٥. أنظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية د/ عبدالله محمد الجيوسي ٣٨٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٤٤٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة شح ٥٠١.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٢٩/٢.

(٥) روح المعاني ٢١١/٥.

(٦) محاسن التأويل ٥٠٩/٢.

والخبير اسم من أسماء الله تعالى وصفة له (هو العالم بِكُنْهِ الشيء . والمُطَّلَعُ على حقيقةه)^١

(المتحقق لما يعلم)^٢ أي: عالم بأخبار أعمالكم وبيواطن أموركم.^٣

(فهو أخص من العليم ، وإذا كان مطلعاً على البواطن فعلمه بالظواهر من باب أولى)^٤ (فمن أحسن في عبادة الله وإلى عباد الله واتقى محارم الله فسيجزيه الله على إحسانه وتقواه ومن أساء وخالف فسيجزي بما عمل)^٥ وفي هذا توجيه تحذير للزوجين بالحرز من المضارة والمشاحة في وضع الشروط التي تهدم حياتهما أو حياة أحدهما.

(وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه و ترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة مالا يخفى)^٦ ولنا وقفة تأمل في منشأ الشح وأثره. ترى متى تشح المرأة والرجل عن تقديم التنازلات التي تضمن استقرار حياتهما؟

إنها تشح حين يغلب على النفس مصلحتها ، وتقوى أنانيتها أمام مصلحة الأسرة ، وصيانة ذكرى العشرة وثمرتها - الأبناء - .

فالسيدة سودة أم المؤمنين رضي الله عنها هي من قدمت التنازل مع أن رسولنا الكريم ﷺ لم يظهر منه نشوزاً ولا إعراضاً ولكن بدافع حبها لزوجها ومعرفتها بضعف قدراتها في الوفاء بحق الزوجية ، وما تشعر فيه من تقصير من جهتها لكبر سنهما ؛ جعلها تحتاط لذلك إسعاداً لقلب زوجها ﷺ ، فتقدم تنازلها عن يومها وليس لأي زوجة بل لأحب زوجة إليه السيدة عائشة رضي الله عنها فقد تحول الحب والتقدير في

(١) شأن الدعاء ٦٣ ، أنظر: البحر المحيط ٣/٣٦٤

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٦٠.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن بتصرف يسير ٢٧٣.

(٤) تفسير آيات الأحكام من سورة النساء ١٠٨٠/٢

(٥) تفسير آيات الأحكام من سورة النساء ١٠٨٠/٢

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤٣٨/٢.

قلب سودة إلى اختيار الأحب والأقرب للرسول ٢ وهذا دلالة ترقى شح النفس الذي جبلت عليه النفوس إلى الإحسان إلى نفسها أولاً بدافع تقوى الله وخشيته^١ فقدمت له ٢ ما يحب ويرضى فرضي منها ذلك وأبقى على ما كان منه من حسن العشرة ، والإنفاق . ولو وقفت كل زوجة موقف السيدة سودة رضي الله عنها فأكرمت زوجها بما يرضيه برضا الله تعالى ؛ لما حضر الشح وفرق الزوجين ، بل لترقى من شح فطري إلى إحسان وتكريم أوجهه الخشية من الله وتقواه ومثلها الزوج لو أتقى الله فيها وأحسن بالرفق في حالها ؛ لرضي ما جادت به نفسها على مشقة ، و ألم إرضاً له وإسعاداً لقلبه . لكنها مجاهدة كبيرة لا يقوى عليها إلا قلب كبير يرى في إسعاد الآخرين سعادة له ، ويؤمن أن الحياة قصيرة له أن يعيش فيها في سكونة وطمأنينة ، وأن الدنيا دار ابتلاء وما حرم فيها من شيء عوضه الله خيراً منه . ولكن أمثال هذه القلوب العاقلة قليلة الوجود في زمن التسابق على المتاع ، والتباهي بالقوة والسلطان ؛ لذا يبقى الجهاد للشح مشقة تعظم عندها المثوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنُزُّوهُمَا كَالْمُعَلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {١٢٩}﴾

وتأتي المشكلة الثانية وهي الميل إلى زوجة أخرى والتي قد تكون منشأ نشوز الزوج ، أو إعراضه . فيحذر الله من هذا الميل القلبي الذي قد يتجاوز المشاعر إلى الفعل ؛ فيميل في عدله الظاهري من نفقة ومسكن ، وحسن عشرة ، بالزيادة لإحدى الزوجات على حساب حق الأخرى لذا قال تعالى محذراً : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والخط من القلب . فوصف الله تعالى حالة البشر وأنهم

(١) أنظر: التين وأثره في الصحة والتوافق النفسي د/ عبد الكريم عائض الشهراني ص ٥٨ ، من

علم النفس القرآني د/ عدنان الشريف ص ١٢٦

بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض ؛ ولهذا كان ﷺ يقول :
 ((اللهم إن هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك))^١ ثم نهى فقال : (فَلَا
 تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) {قال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة بل الزموا التسوية في القسم والنفقة ؛
 لأن هذا مما يستطاع}^٢ وفي الآية مع التحذير عذر فقد (عذر الرجال في شأن النساء
 فقال : {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ} أي تمام العدل . وجاء بـ "لن" للمبالغة في
 النفي ، لأن أمر النساء يغالب النفس ، لأن الله جعل حسن المرأة وخلقها مؤثراً أشد
 التأثير ، قرب امرأة لبيبة خفيفة الروح ، وأخرى ثقيلة حمقاء ، فتفاوتهن في ذلك
 وخلو بعضهن منه يؤثر لا محالة تفاوتاً في محبة الزوج بعضاً وأوجه ، ولو كان
 حريصاً على إظهار العدل بينهما ، فلذلك قال "ولو حرصتم" وأقام الله ميزان العدل
 بقوله "فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ" أي لا يفرط أحدكم بإظهار الميل إلى إحداهن أشد الميل
 حتى يسوء الأخرى بحيث تصبح الأخرى كالمعلقة فظهر أن متعلق "تَمِيلُوا" مقدر
 بإحداهن ، وأن ضمير "تذروها" المنصوب عائد إلى غير المتعلق المحذوف بالقرينة ،
 وهو إيجاز بديع.)^٣

(فتذروها كالمعلقة) وأصل العلق: التشبث بالشيء.^٤ (والعين واللام والقاف أصل
 كبير صحيح وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي)^٥

(١) سنن أبي داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء رقم الحديث (٢١٣٤) ص ٣٢٤ قال الألباني
 رحمه الله ضعيف . وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٨٩٣/٢ : (هذا لفظ أبي داود ،
 وهذا إسناد صحيح ، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة
 مرسلأ قال: وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة). أنظر: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) كتاب
 النكاح باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر الحديث برقم: (١١٤٠) ٤٤٦/٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٧/٥ . أنظر: أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي ٦٣٤/١

(٣) التحرير والتنوير ٢١٨/٥ بتصرف يسير جداً.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٥٧٩

(٥) معجم مقاييس اللغة مادة علق ٦٧٠

(والمعلقة) هي المرأة التي يهجرها زوجها هجراً طويلاً ، فلا هي مطلقة ولا هي زوجة^١ (وهذا تشبيهه بالشيء المعلق من شيء لأنه لا على الأرض استقرار ولا على ما عُلّق عليه انحمل)^٢

ومن الأوصاف التي تصور حقيقة المعلقة ومشاعرها المتأرجحة ، المقهورة؛ أنها كالسجينة . وعلل الإمام الخازن هذا الوصف بقوله: (وقيل معناه فتدروها كالمسجونة لا هي مُخلّصة فتتزوج ، ولا هي ذات بعل فيحسن إليها)^٣ لذا حذر الرسول ﷺ من شدة الميل لإحدى الزوجات ميلاً تتضرر منه الأخرى فيمزق عواطفها كما يتمزق الشيء المعلق من قوة ضرب الرياح فيه قال ٢: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)^٤

(ولكن من الحبّ حظاً هو اختياري ، وهو أن يروض الزوج نفسه على الإحسان لا مرأته ، وتحمل ما لا يلائمه من خلقها أو أخلاقها ما استطاع ، وحسن المعاشرة لها، حتى يحصل من الألف بها والحنو عليها اختياراً بطول التكرار والتعود ، ما يقوم مقام الميل الطبيعي . فذلك من الميل إليها الموصى به في قوله: "فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ" أي إلى إحداهن أو عن إحداهن.)^٥

ثم قال تعالى: (وَإِنْ تَصْلَحُوا} أعمالكم أيها الناس ، فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم ، وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف ، فلا تجوروا في ذلك. {وَتَقْوُوا} وتتقوا الله في الميل الذي نهاكم عنه ، بأن تميلوا لإحداهن على الأخرى، فتظلموها حقها مما أوجبه الله لها عليكم.

(١) التحرير والتنوير ٢١٨/٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٠٧/٥

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤٣٥/١

(٤) سنن أبي داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء رقم الحديث (٢١٣٣) ص ٣٢٣. قال الألباني: حديث صحيح. أنظر الجامع الصحيح كتاب النكاح باب: ما جاء في التسوية بين الزوجين رقم الحديث (١١٤١) ٤٤٧/٣ قال الترمذي: إنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى عن قتادة ولا نعرف هذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام وهو ثقة حافظ.

(٥) التحرير والتنوير ٢١٨/٥

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا} فإن الله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك ، بتركه عقوبتكم عليه ، ويُغْطِي ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم في ذلك قبل. {رَّحِيمًا} وكان رحيماً بكم ، إذ تاب عليكم ، فقبل توبتكم من الذي سلف منكم من جوركم في ذلك عليهن ، وفي ترخيصه لكم الصلح بينكم وبينهن ، بصفحةن عن حقوقهن لكم من القَسَم على أن لا يَطْلَقن^١.

وقفه تأمل في وصف (المعلقة) وأثره النفسي والاجتماعي على المرأة.

(المرأة هي منبع الحب والعطاء الصادق والتفاؤل والبهجة ، فهي تميل إلى الآخرين كباراً وصغاراً ، وهي كائن حساس مرهف الحس ، عطوف حنون ، رقيق دافئ المشاعر ، وبقدر ما بها من تلك الاحاسيس والمشاعر الفياضة بالحب والود والرحمة إتجاه الآخرين ، وخاصة المقربين منها من الوالدين والأبناء والزوج ، فهي أيضاً في حاجة إلى من يهتم بها ويعطيها قدراً من الحب والرعاية والاهتمام لأنها كائن ضعيف البنيان وتحتاج إلى من يكملها بقوة جسدية وإيمانية وعاطفية وجعل الله سبحانه وتعالى الرجل مكماً للمرأة ذات المشاعر والأحاسيس منبع الحب فهما نصفان مكملان بعضهما البعض ، لا يستغني أي منهما عن الآخر ، كما جعل من الرجل والمرأة استمراراً للحياة ، ولا يستطيعان الاستمرار معاً دون أن تكون هناك مودة وحب ورحمة.)^٢

والزوجة المعلقة ؛ امرأة وحيدة عاطفياً واجتماعياً ، ومادياً ، فالفراغ بمختلف صوره يحيط بها كما يحيط الهواء بالشيء المعلق ، وتعصف بها رياح الألم فلا أمل ، ولا حلم ، ولا خيال سعيد ، ولا أرض ترى فيها بصيص حياة أفضل ، ولا سماء للفرج يمطر على روحها الحياة ؛ فهي في حالة اكتئاب يائس ، لا تبصر عينيها النور؛ فهي كالسجين البريء الذي غابت دلائل براءته ، وطال زمان الحكم عليه . فالوحدة ، والحرمان ، أثر من آثار التعليق ، وهما شعور يولد الهروب من الواقع ، وحيرة تسكن الوجدان ، وشعور بعدم الرضى والقناعة ، (وهي هدنه تطول وتطول

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٤/٣١٦.

(٢) الإسلام و تأصيل علم النفس د/ هناء يحيى أبو شهبه. ١٦١ وما بعدها بتصرف.

مع الأمناني والرغبات ، التي لا تستطيع تحقيقها بالفعل ، إنه الرجل الغائب عن وجودها والحاضر في خيالها^١

والزوجة المعلقة فقدت لباس الزوجية الذي وصفه الله تعالى في قوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} سورة البقرة ١٨٧.

فالزوجان في حالة الرضا ، والوفاق ؛ يشعران (بالأمن والسكينة ويشعر الزوجان المتوافقان ؛ بالسعادة الزوجية ، فتغمرهما المودة ، ويجد كل منهما مكسناً له في الآخر ، حتى يصبح كل منهما لباساً للآخر يستر عورته ، ويحمي كيانه ، ويستمد اللباس قوامه من الجسم ، ويستمد الجسم حسنه وجاذبيته من اللباس)^٢ فما في اللباس من ميزة الستر العاطفي والأخلاقي والسكن والأمان النفسي والجاذبية في المظهر والوجدان قد فقدتها المعلقة ، ونتيجة لهذا فهي معرضة للوقوع في الخيانة النفسية والعاطفية ؛ بإشباع عواطفها بالخيال ، أو بالواقع المحرم ؛ لسد ثغرة النقص والحرمان ، والخوف الذي عصف بحياتها ، جراء تعليقها ؛ لذا حذر الله من حرمان الزوجة حقوقها ، أو إهمالها أو تعذيبها ، لتتنازل عن حقوقها ، فهي كيان حي مسؤول كالرجال فكما حمى الله الرجال من نشوز النساء ، وأرشدهم لعلاجهم ، وعالج نشوز الرجل بالمصالحة بينه وبين زوجته بما يحفظ حياتهما ، حذر الرجل من المشاحة بنفسه ، وماله ورعايته عند الصلح وبعده ، حتى لا يكسر الكيان الضعيف ، والقلب الرقيق ؛ فيهلكه نفسياً بالاكْتئاب ، والوساوس ، والعدوانية أو جسدياً فليجئ زوجته للإنتحار ، أو الاعتداء على الآخرين ، أو التنفيس في الأبناء.^٣ وحتى يتدارك الزوجين هذه المشاكل لا بد من طلب الاستشارة والعلاج عند المختصين من علماء

(١) دراسة نفسية معمقة في دور الرجل بحياة الأنثى . هيفاء أحمد الفتوى . ص ١٣٩

(٢) المدخل إلى الصحة النفسية د/ محمد صالح عبد الرؤوف . د/ السر أحمد سليمان ص ٤٦

(٣) أنظر: آثار فقدان الزوجة للأمان الزوجي وأثر عدم العدل في حالة تعدد الزوجات : أساسيات الإرشاد الزوجي والأسري أ.د/ صالح حسن الدايري ص ٤٣ ، الصحة النفسية والأسرة د/ سناء حامد زهران ص ١٢٤ ، الصحة النفسية والعلاج النفسي أ.د/ حامد عبد السلام زهران ص ٤٦٠ ، الإرشاد الأسري نظرياته وإساليه العلاجية سعيد حسني العزة ص ، ١٦٦ النشوز د/ صالح السدلان ص ٦٣ . النفس والحياة د/ طارق الحبيب ص ٣١ ، ٣٩ ، ٤١

الشريعة ، والمعالجين في مجال الإرشاد الزواجي والأسري (والإرشاد الزواجي عملياً قديم قدم الزواج نفسه . والإرشاد الزواجي هو: عملية مساعدة الفرد في اختيار زوجه، والاستعداد للحياة الزوجية وتحقيق التوافق الزواجي ، وحل ما قد يطرأ من مشكلات زواجية قبل الزواج وأثناءه وبعده)^١ (والإرشاد الزواجي يهتم بالزوجين ، والإرشاد الأسري يهتم بالأسرة كاملة من زوجين وأبناء وأقارب)^٢ فسبحان من أختصر العذاب النفسي والجسدي للمرأة المحرومة من زوجها ، وما تعانيه من أحزان، والآم في كلمة واحدة (معلقة).

(وقوله تعالى: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} ١٣٠) وهذه هي الحالة الثالثة. فالحالة الأولى: الصلح مع الأثرة. والحالة الثانية: الصبر على تحري العدل في القسمة ، والثالثة: الفراق.

(فإن شح كل واحد من الزوجين ، فلم يتصالحا ، لكنهما تفرقا بطلاق ، فإن الله تعالى يغني كل واحد منهما عن صاحبه بفضله)^٣

(تسليه لكل واحد منهما عن الآخر ، وأن كل واحد منهما سيغنيه الله عن الآخر إذا قصد الفرقة خوفاً من ترك حقوق الله التي أوجبها ، وأخبر أن رزق العباد كلهم على الله وأن ما يُجريه منه على أيدي عباده فهو المسبب له والمستحق للحمد عليه)^٤ (وفي قوله "يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ" إشارة إلى أن الفراق قد يكون خيراً لهما لأن الفراق خير من

سوء المعاشرة)^٥ وفي ختم الآية الكريمة بإثبات اسم وصفة الواسع الحكيم لله تعالى مناسبة بيّنة لموضوع الآية؛ فهي تنهي علاج النشوز والإعراض بالفرقة بين الزوجين سواء كانت بالخلع أو الطلاق ؛ لتعذر الصلح والإحسان بينهما ، إذ غلب

(١) التوجيه والإرشاد النفسي د/حامد عبد السلام زهران ٤٣٥ .

(٢) التوجيه والإرشاد النفسي د/حامد عبد السلام زهران ٤٥١ .

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣٠٩/٢ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣٥٦/٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٢١٩/٥ .

شح الزوجة في عدم التنازل عن بعض حقوقها أو كلها إذا كان وجع التنازل لا يحتمل، وكذلك غلب شح الزوج على اللين والإحسان فيما تقدمه له الزوجة ؛ ويؤثر راحته وسعادته عليها مع زوجة أخرى ، أو حياة خاصة به .

فكلا الزوجين في ضيق وحرَج نفسي ، وألم عاطفي ؛ أضعف نور العقل والبصيرة في إجراء الصلح ، فهنا رخص لهما الله تعالى في الفرقة ، وبين أنها الأفضل في حالة عدم أداء الحقوق ، وخوف التقصير ، فإذا خافا الله في حقه عليهما من العدل والإحسان فيما بينهما من حقوق وواجبات ، فوعدهما الله السعة والغنى بعد الفراق سواء كانت سعة بالتوفيق بزواج وشريك جديد خير من الأول ، أو سعة البركة في الرزق ، والعلم ، والعمل ، وصلاح ذريتهما ، فالسعة تعني سعادة كبيرة ، ورزق وخير رغيد ، تحيطه الرحمة لأنهما تراحما فيما بينهما فلم يضيق أحدهما على الآخر ثم ذكر صفة الحكمة دواء للألم الفراق وذكرى العشرة بأن ما حدث هو أولاً وآخرأ قضاء الله وقدره ؛ وإن وجدت فيه أسباب البشر من سوء الخلق ، أو كراهية العشرة ، وغير ذلك من أسباب ، فهي أيضاً أقدار الله الكونية ، وله في ذلك حكمة فهو الحكيم الذي يضع الأمور في موضعها المناسب ، وهو أعلم بمصلحة عباده ؛ فالفراق رحمة لسوء العشرة ، أو خشية وقوع الظلم بينهما ، أو ابتلاء وامتحان لإيمانهما هل يؤثران حبهما على حبه تعالى فكم من أحبه افترقوا دون أسباب للفرقة في الدنيا ، والله في خلقه شؤون ، ولو أدرك الزوجان رحمة الله وإحسانه ونعمه على عباده لصلحت النوايا ، ورضت النفوس ، واطمأنت بقضائه وقدره . وكيف والدنيا دار محنة وبلاء ومنها الفرقة بين الزوجين .

فمن رضي بأمر الله فله الرضا والغنى والسعة وفتحت له أبواب الحكمة ، أعظم النعم على بني آدم فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ومن سخط وتكبر والحق الأذى بصاحبه ؛ فله السخط والعذاب ، والضيق وضنك العيش فالعبرة ، والموعظة جلية للزوجين وللزوجة خاصة فنشوز المرأة مختلف في علاجه عن نشوز الرجل فالمرأة لها قدرة على التحمل ، والصبر أكثر ؛ فهي لا تعالج نشوزاً فقط بل إعراضاً وهو أشد لما بينا ، وتضحى لأجل سلامة بيتها ؛ ولو في الظاهر ، وتحفظ أبناءها وإن

تَحطم قلبها ، وجف رصيد سعادتها ، فهي تحافظ على ظل الرجل من أجل كيان أكبر وأهم هو الأسرة ، وكونها أم ، وزوجة وإن فقدت صفة الحبيبة ورفيقة الحياة ، وشريكة العمر ؛ ولكن الرجل يواجه نشوز المرأة بالموعظة ، ثم الهجر ، ثم الضرب ، ولكن لا يقوى على البقاء على ظل امرأة كما تتحمل الزوجة ظله ، وتراه رحمة وستراً وحماية . وذلك فرق في شخصية الرجل لا يملك تغييره أمراً فطر عليه كما فطرت المرأة على غلبة العاطفة والغيرة وحبه لدرجة التملك . فسبحان من جعل اختلاف المرأة والرجل تكاملاً لهما ، وتجاذب لفطرتهما.

وفي ختام هذا البحث الذي تناول لوناً من ألوان التفسير في العصر الحديث؛ ألا وهو التفسير الأدبي الاجتماعي، وتحدثنا فيه عن نشأته وأسباب ظهوره، ومدارسه، والمنهج العلمي الذي ساروا عليه المؤسسين، ومصادرهم في التفسير، وما أخذ عليهم من مأخذ. ثم قدمنا نموذجاً تطبيقياً للتفسير الأدبي الاجتماعي للمؤسس المنهجي لهذا اللون المفسر الرائد سيد قطب - رحمه الله - المتمثل في تفسيره لآيات النشور الخاصة بنشور الرجل وهي الآيات (١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠) من سورة النساء. ثم قدمنا دراسة تطبيقية للتفسير الأدبي الاجتماعي لنفس الآيات تمثل جهد الباحثة، ومعالجة نشور الرجل وأثره على المرأة نفسياً واجتماعياً؛ وذلك بهدف معالجة المشاكل الاجتماعية معالجة شرعية، واجتماعية نفسية، والكشف عن أوجه الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم، وما فيه من أساليب موجزة الألفاظ، دقيقة المعاني، تعالج النفس الإنسانية، وتربطها بالوحدة الاجتماعية مع جميع أفراد المجتمع. وكان من نتائج هذه الدراسة وأهم التوصيات التالي:-

- ١- أهمية هذا اللون من التفسير، ومدى علاقته الوثيقة بالواقع المعاصر، واحتياج الأسر المسلمة إلى العلاج الإلهي لمشاكلها، والعمل بهدي القرآن الكريم.
- ٢- تدارك الأخطاء التي وقعت فيها مدارس التفسير المؤسسة لهذا اللون؛ والكشف عن إيجابيات التفسير الأدبي الاجتماعي، وتشجيع طلاب الدراسات العليا، والباحثين المختصين في الدراسات القرآنية على تناول المشاكل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغير ذلك؛ بمنظور شرعي بإخضاع هذه المشاكل، واستنباط علاجها وفق الشريعة الإسلامية، وتجنب إخضاع الشريعة وأحكامها وفق الهوى العلمي، أو الرؤية الشخصية للباحث، أو للقانون الوضعي؛ فهذا من التأويل الباطني الذي يُزيّف الحقائق، ويشتت الموضوع، ويضلل النتائج.
- ٣- التعرف على أسرار الخلق، وتباين الصفات، وتفاوت القدرات؛ في مواجهة المشاكل الأسرية والعاطفية منها خاصة، وأثرها على سلوك الزوجين واختلافهم في مواجهتها وعلاجها، فقد أثبت الله عز وجل للمرأة نشوراً ولم يثبت لها

إعراضاً ، بينما أثبت للرجل في حالة وقوع المشاكل نشوزاً وإعراضاً ، ولكل منهما دلالاته الشرعية والنفسية والعاطفية على الزوج والزوجة ، ولكل منهما علاج يناسبه.

٤- التفسير الأدبي الاجتماعي تأصيل شرعي للدراسات النفسية والاجتماعية والعلمية؛ فهو يوحد بين جهود العلماء ، ويكشف عن أهمية الدين في حياة الإنسان. وأن النظريات العلمية التي تعالج الإنسان في نفسه وعواطفه وعلاقاته مع الآخر ؛ وفق الجهد البشري ذو الآراء الخاصة بأصحابها ، البعيدة عن التوجيه الرباني ، أثبتت ضعفها وفشلها في العلاج في كثير من نظرياتها ؛ لأن خالق النفس هو أعلم سبحانه وتعالى بما يناسبها ، لذا لابد من وجود مختصين في الطب النفسي والإرشاد النفسي والزواجي والأسري خاصة لديهم القدرة على الجمع بين العلم الشرعي والحقائق العلمية ، فكثير من المشاكل ليس علاجها متوقف على العلاج المعرفي السلوكي العلمي البحت ؛ بل هذا النوع من العلاج هو مستبطل من الكتاب الكريم ، وفيه علاج للروح بالإيمان ، واليقين بفضل الله ورحمته وقضائه وقدره ، كما أشرنا في أثر إيمان الزوجين بقضاء الله لهما بالفرقة إذا كانت خير من سوء العشرة لأحدهما أو لكلاهما ، ووعده الله لهما بالسعة والغنى.

فالإيمان يسمو بالروح ، ويسكن الجسد ، ويطمئن القلب ، ويساعد المبتلى على العلاج بالفعل ، والتحرر من الضعف ، والألم والخوف ، والشعور بالتقاول بمستقبل أفضل.

٥- عناية القرآن الكريم بالأسرة ؛ لأهميتها في بنيان المجتمع ، واستقراره وتقدمه ، فحل المشاكل الأسرية حماية للأسرة من التفكك والضياع ، والوقوع في مهالك المحرمات ؛ لذا لابد من الاهتمام بالزوجين ورعاية حقوقهم ، والمحافظة على سمو العشرة بينهما حتى بعد الفراق إن وقع ؛ وذلك بتقديم الدراسات العلمية حول القضايا الأسرية ، وعقد الدورات التثقيفية لحديثي الزواج ومساعدتهم على فهم المؤسسة الزوجية ، وكيفية رعايتها والمحافظة عليها ، خاصة وأن الزوجان تربطهما اعظم رابطة قبل الزواج ؛ وهي رابطة الدين الإسلامي ، ومن حق

المسلم على المسلم إبعاده ، ومساندته ، والتغاضي عن أخطائه ، والستر عليه ،
فحين يلتقيان برابط الميثاق الغليظ فالحق بينهما ولهما وعليهما أعظم ، فهما
دعامة المجتمع ، ومصدر قوته ، ورقية أو العكس .

هذا وأسأل الله أن أكون وفقت في تناول هذه الدراسة فما كان فيها من صواب
ودلالة خير فهو من الله تعالى ، وما كان فيها من خطأ وتقصير فمني ومن الشيطان
واستغفر الله وأتوب إليه .

فهرس المصادر والمراجع..

- (١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. أ.د/ فهد بن عبدالرحمن الرومي . مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان (ط٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)
- (٢) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي/ مساعد مسلم عبدالله آل جعفر . مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
- (٣) أحكام القرآن أبي بكر أحمد بن علي الجصاص. تحقيق: عبد السلام محمد شاهين. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان بدون ذكر لعدد الطبع وسنة الطبع
- (٤) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي . تحقيق محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان . بدون سنة طبع أو عدد الطبعة.
- (٥) آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية. محمد رمضان رمضاني. مكتب مجلة البيان الرياض - السعودية (ط١ - ١٤٣٤هـ)
- (٦) الارشاد الأسري نظرياته وأساليبه العلاجية سعيد حسني العزة. مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع . عمان - الأردن (ط١ - ٢٠٠٠م)
- (٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط١ - ٢٠١٠م)
- (٨) أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري أ.د/ صالح حسن الدايري . دار صفاء عمان - الأردن (ط١ - ٢٠٠٨م)
- (٩) الإسلام وتأصيل علم النفس/ هناء يحيى أبو شهبة . دار الفكر العربي القاهرة - مصر (ط١ - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- (١٠) الأسماء والصفات لأبي بكر بن الحسن بن علي البيهقي . تحقيق: عبدالله بن عامر . دار الحديث القاهرة - مصر. (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- (١١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم. مقاتل بن سليمان البلخي . تحقيق: د/ عبد الله محمود شحاته . الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر . (ط٢ - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

- (١٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
عالم الكتاب بيروت - لبنان بدون سنة نشر
- (١٣) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس. تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم. دار
الكتب العلمية بيروت-لبنان (ط١-١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)
- (١٤) الأعلام . خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت - لبنان (ط١٢ - ١٩٩٧م)
- (١٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبدالله البيضاوي تحقيق محمود عبد القادر
الأرناؤوط . دار صادر بيروت لبنان (ط١- ٢٠٠١م)
- (١٦) البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة -
مصر (ط٢ - ١٤١٣هـ ١٩٩٢م)
- (١٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز
أبادي . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية بيروت - لبنان بدون ذكر لعدد الطبعة
ولسنة الطبع .
- (١٨) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري تحقيق: علي محمد
البجاوي . دار الجيل بيروت - لبنان (ط٢-١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)
- (١٩) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور . بدون ذكر لدار النشر والطبعة
- (٢٠) التدين وأثره في الصحة والتوافق النفسي/د/عبد الكريم عائض الشهراني. دار الكفاح
الدمام - السعودية (ط١ - ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م)
- (٢١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي. تحقيق :
د/علي حسين البواب . مكتبة المعارف الرياض - السعودية (ط١ - ١٤٠٧ هـ -
١٩٨٦م)
- (٢٢) الترجمان في غريب القرآن لأبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني. تحقيق:
موسى بن سليمان آل إبراهيم . مكتبة البيان الطائف -السعودية (ط١ - ١٤١٩ هـ -
١٩٩٨م)
- (٢٣) التعبير القرآني والدلالة النفسية. د/عبدالله محمد الجبوسي. دار الغوثاني للدراسات
القرآنية. دمشق- سوريا (ط٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)

- (٢٤) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير القرشي. تحقيق: علي شيري . دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) بدون ذكر لعدد الطبعة
- (٢٥) تفسير القرآن الكريم وإعرابه لمحمد طه الدرة . دار ابن كثير دمشق - سوريا (ط١ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)
- (٢٦) تفسير آيات الأحكام في سورة النساء. أ.د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم . دار العاصمة الرياض -السعودية . (ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- (٢٧) التفسير والمفسرون: د/ محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبه القاهرة - مصر (ط٧ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- (٢٨) التفسير والمفسرون في العصر الحديث. عبد القادر محمد صالح . دار المعرفة بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م)
- (٢٩) التوجيه والارشاد النفسي.أ.د/ حامد عبد السلام زهران. عالم الكتب القاهرة - مصر (ط٤ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)
- (٣٠) جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار الكتب العلمية . بيروت- لبنان (ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- (٣١) جامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار الكتب العلمية بيروت -لبنان . بدون ذكر للطبعة وسنة الطبع
- (٣٢) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي . بدون ذكر لدار النشر وسنة الطبع وعدد الطبعة
- (٣٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرحمن بن محمد الثعالبي تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان (ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)
- (٣٤) دراسات في مناهج المفسرين. د/ أبو عمر نادي بن محمود الأزهرى. مكتبة المتنبي الدمام - السعودية طبعة عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

(٣٥) دراسة نفسية متعمقة في دور الرجل بحياة الأثني. هيفاء أحمد الفتوى . مكتبة دار طلاس دمشق - سوريا (١ط - ٢٠١٢م)

(٣٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي البغدادي . تحقيق: محمد أحمد الأسد وآخرون. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان (١ط - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

(٣٧) الروض المربع شرح زاد المستنقع. منصور بن يونس البهوتي وحاشية الروض المربع: عبد الله بن عبد العزيز العنقري. مكتبة الرياض الحديثة الرياض - السعودية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) بدون ذكر للطبعة

(٣٨) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي تحقيق عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي بيروت - لبنان (١ط - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

(٣٩) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . مكتبة المعارف الرياض - السعودية (ط أولى) بدون ذكر لسنة النشر

(٤٠) شأن الدعاء لأبي سليمان بن حمد بن محمد الخطابي . تحقيق: أحمد يوسف الدقاق . دار الثقافة العربية دمشق - سوريا (٣-١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

(٤١) الصحة النفسية والأسرة. د/ سناء حامد زهران عالم الكتب القاهرة - مصر (١ط - ٢٠١١م)

(٤٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي. د/ حامد عبدالسلام زهران عالم الكتب القاهرة - مصر (٤ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)

(٤٣) صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري . تحقيق الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري مكتبة العبيكان . الرياض - السعودية (١ط - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

(٤٤) الصحيح المسند من أسباب النزول: مقبل بن هادي الوادعي . مكتبة صنعاء الأثرية صنعاء - اليمن (٢-١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

(٤٥) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري . دار ابن حزم بيروت - لبنان (١ط - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

- (٤٦) فقه السنة. السيد سابق . دار الكتاب العربي بيروت - لبنان (ط٣ - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)
- (٤٧) في ظلال القرآن لسيد قطب . دار الشروق بيروت - لبنان (ط١٧ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)
- (٤٨) القاموس القرآني / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. الحسين بن محمد الدامغاني . تحقيق طلال سالم الحديثي عادل الدرة. بدون ذكر لتاريخ النشر وسنة الطبعة
- (٤٩) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لجار الله محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون . مكتبة العبيكان الرياض - السعودية (ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)
- (٥٠) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت١٠٩٤هـ) . تحقيق : د/ عدنان درويش / محمد المصري . مؤسسة الرسالة دمشق - سوريا . ط٢ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
- (٥١) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن. تصحيح: عبد السلام محمد علي شاهين . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- (٥٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . دار صادر بيروت - لبنان (ط١ - ١٩٩٧م).
- (٥٣) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان (ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)
- (٥٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الاندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)
- (٥٥) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي ابن سيده المرسي تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

- ٥٦) المدخل إلى الصحة النفسية/محمد صالح عبدالرؤوف . د/السر أحمد سليمان . مكتبة الرشد الرياض - السعودية (ط١ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- ٥٧) معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون . دار طيبة الرياض - السعودية (ط١ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)
- ٥٨) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . عالم الكتاب بيروت - لبنان (ط٣ - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)
- ٥٩) معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق إبراهيم بن السري . تحقيق. دار عبد الجليل عبده شلبي . دار الحديث القاهرة - مصر (ط١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)
- ٦٠) معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان (ط١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)
- ٦١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس. تحقيق محمد عوض مرعب / فاطمة محمد أصلان دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- ٦٢) المفتي: لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي . تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي و د/عبد الفتاح محمد الحلو. دار عالم الكتب الرياض - السعودية (ط٣ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)
- ٦٣) مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد عمر الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان (ط١ - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م)
- ٦٤) مقدرات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان داوودي . دار القلم ، بيروت - لبنان (ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- ٦٥) من علم النفس القرآني. د/عدنان الشريف. دار العلم للملايين بيروت - لبنان (ط١ - ١٩٨٧ م)
- ٦٦) مناهج المفسرين: د/ أحمد بن محمد الشرقاوي. مكتبة الرشد الرياض - السعودية طبعة عام ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

- ٦٧) النشور - ضوابطه - حالاته - اسبابه - طرق الوقاية منه - وسائل علاجه في ضوء القرآن والسنة د/ صالح بن غانم السدلان (ط٤ - ١٤١٧هـ)
- ٦٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط٤ - ٢٠١١م)
- ٦٩) النفس والحياة. أ.د/ طارق الحبيب دار وجوه . الرياض - السعودية (١٤٣٤هـ) بدون ذكر لعدد الطبع.
- ٧٠) النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان . بدون ذكر لعدد الطبعة وسنة الطبع.
- ٧١) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجنزي ابن الاثر . تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر احمد الزاوي . دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان بدون ذكر للعدد وسنة الطبع .

* * *